موسوعة فاطمة الزهراء عليها السلام

بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إعداد وإشراف
السيد علي عاشور

دار نظير عبود

موسوعة

فاطمة الزهراء عليها السلام

بنت رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

(٨)

شماره ثبت
تاريخ ثبت

موسوعة
فاطمة الزهراء عليها السلام

بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم

فدك واحتجاج فاطمة بها
عباوة فاطمة عليها السلام

جمع وإعداد
السيد علي عاشور

الجزء الثامن

دار نظير عبود

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدما.

هاتف: ٠٣/٧٨١٠٠٧ - ٠٩/٩٣٦٧٧٢ - بيروت لبنان

كلام ابن أبي الحديد في فدك

قال الإمام علي من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الانصاري (الكتاب: ٤٥):

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكَ وَغَيْرِ فَدَكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتُ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

قال ابن أبي الحديد شارحاً: الجَدَث: القبر، وأضغطها الحجر: جعلها ضاغطة، والهمزة للتعدية، ويروى: «وضغطها».

وقوله: «مظانّها في غد جَدَث»، المظانّ، جمع مَظِنّة، وهو موضع الشيء ومَألفه الّذي يكون فيه، قال:

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلاً ... فإن مَظِنّة الجهلِ الشبابُ

يقول: لا مال لي، ولا اقتنيتُ فيما مضى مالاً، وإنما كانت في أيدينا فَدَك فشحّت عليها نفوسُ قوم، أي بخلتْ وسختْ عنها نفوسُ آخرين، أي سامحت وأغضَتْ. وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا السخاء الحقيقيّ، لأ نّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفَدَك إلّا غصبا وقَسْرا؛ وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدّم، وهو يعني الخلافة بعد وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله.

ثم قال: «ونعم الحَكَم الله»، الحَكَم: الحاكم، وهذا الكلام كلامُ شاك متظلّم،

ثم ذكر مالَ الإنسان وأنّه لا ينبغي أن يكترث بالقَيْنات والأموال، فإنّه يصير عن قريب إلى دار البِلَى ومنازل الموتى.

ثم ذكر أنّ الحُفرة ضيّقة، وأنه لَو وسّعها الحافر لألجأها الحجر المتداعي والمدَر المتهافت، إلى أن تضغط الميّت وتزحمه، وهذا كلام محمول على ظاهره، لأ نّه خطاب للعامّة، وإلّا فأيّ فَرْق بين سعة الحُفْرة وضِيقها على الميّت! اللهمّ إلّا أن يقول قائل: إنّ الميّت يحسّ في قبره، فإذا قيل ذلك فالجاعل له حِساساً بعد عدم الحسّ هو الّذي يوسّع الحفرة، وإن كان الحافر قد جعلها ضيّقة؛ فإذن هذا الكلام جيّد لخطاب العَرَب خاصّة، ومن يَحمل الأمورَ على ظواهرها.

ثم قال: «**وإنّما هي نفسي أروضُها بالتقوى**»، يقول: تَقلُّلي واقتصاري من المطعم والمَلْبَس على الجَشِب والخَشِن رياضةٌ لنفسي، لأنّ ذلك إنّما أعمله خوفاً من الله أن أنغمس في الدنيا، فالرياضة بذلك هي رياضةٌ في الحقيقة بالتقوى، لا بنفس التقلّل والتقشُّف، لتأتي نفسي آمنةً يومَ الفَزَع الأكبر، وتثبت في مداحض الزَّلَق.

ذكر ما ورد من السِّيَر والأخبار في أمر فَدَك

قال: واعلم أنّا نتكلّم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول:

الفصل الأوّل فيما ورد في الحديث والسِّيَر من أمر فَدَك.

والفصل الثاني في هل النبيّ ﷺ يورّث أم لا؟.

والفصل الثالث في أنّ فَدَك؛ هل صحّ كونها نِحْلة مِن رسول الله ﷺ لفاطمة أم لا؟

■ ■ ■

الفصل الأوّل

فيما ورد في الحديث والسّيَر من أمر فدك

الفصل الأول: فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كُتب الشيعة ورجالهم، لأ نّا مشترطون على أنفسنا ألّا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في السقيفة وفَدَك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عَقِب وفاةِ النبيّ ﷺ؛ وأبو بكر الجوهريّ هذا عالم مُحدِّث كثيرُ الأدب، ثقة وَرِع، أثنَى عليه المحدّثون وروَوْا عنه مصنّفاته.

قال أبو بكر: حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال: حدّثنا حيّان بن بشر، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: أخبَرَنا ابن أبي زائدة، عن محمّد بن إسحاق، عن الزّهريّ قال: بقيتْ بقيّةٌ من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يَحقِن دماءهم ويُسيِّرهم، ففعل، فسمع ذلك أهلُ فَدَك فنزلوا على مثل ذلك، وكانت للنبيّ ﷺ خاصّة، لأ نّه لم يُوجف عليها بخيل ولا رِكاب. قال أبو بكر: وَ رَوَى محمّد بن إسحاق أيضاً؛ أنَّ رسول الله ﷺ لمّا فرغ من خيبَر قذف الله الرعبَ في قلوب أهلِ فَدَك، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فصالحوه على النِّصف من فَدَك، فقَدِمَتْ عليه رسُلهم بخيبر أو بالطريق، أو بعد ما أقام بالمدينة، فقبل ذلك منهم، وكانت فَدَكُ لرسول الله ﷺ خالصةً له، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا رِكاب.

قال: وقد روى أنّه صالَحهم عليها كلّها، الله أعلم أيُّ الأمرين كان.

يقال: وكان مالك بن أنَس يحدّث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حَزْم أنه صالحهم على النِّصف فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمرُ بنُ الخطّاب وأجلاهم

بعد أن عوّضهم عن النّصف الّذي كان لهم عوضا من إبل وغيرها وقال غير مالك بن أنس: لمّا أجلاهم عمرُ بعث إليهم من يقوّم الأموال، بعث أبا الهيثم بن التّيّهان، وفَرْوة بن عمرو، وحُباب بن صَخْر، وزيد بن ثابت، فقوّموا أرضَ فَدَك ونخلها، فأخذها عمر، ودفع إليهم قيمةَ النصف الّذي لهم، وكان مبلغ ذلك خمسين ألفَ درهم، أعطاهم إيّاها من مال أتاه من العراق، وأجلاهم إلى الشام.

قال أبو بكر: فحدّثني محمّد بن زكريا قال: حدّثني جعفر بن محمد بن عُمارة الكنديّ قال: حدثني أبي، عن الحسين بن صالح ابن حيّ، قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينبَ بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: وقال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه. قال أبو بكر: وحدّثني عثمان بن عمران العجيفيّ، عن نائل بن نَجيح بن عمير بن شَمِر، عن جابر الجُعفيّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام. قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن بن الحسن. قالوا جميعا: لمّا بلغ فاطمةَ عليها السلام إجماعُ أبي بكر على منعها فَدَك، لاثتْ خِمارَها، وأقبلت في لُمّة من حَفَدَتِها ونساءِ قومها، تطأ في ذيولها، ما تخرم مِشْيتها مِشْية رسولِ الله صلى الله عليه وآله، حتّى دخلتْ على أبي بكر وقد حشَد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم رَيْطةً بيضاء ـ وقال بعضهم: قِبْطيّة، وقالوا: قُبْطية بالكسر والضمّ ـ ثم أنّت أنّةً أجْهَش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلتْ طويلا حتى سكنوا من فَوْرَتهم، ثم قالت: أبتدئ بحَمْد مَن هو أولى بالحمد والطَّوْل والمجد، الحمد لله على ما أنْعم وله الشكر بما ألهمَ. وذَكر خطبةً طويلةً جيّدة قالت في آخرها: «فاتّقوا الله حقّ تُقاتِه، وأطيعوه فيما أمرَكم به، فإنّما يَخشَى الله من عباده العلماء، واحمَدوا اللهَ الّذي لعظمته ونوره يَبتغِي مَن في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسلتُه في خلقه، ونحن خاصّته، ومحلّ قدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه، ثم قالت: أنا فاطمة ابنة محمّد، أقول عَوْدا على بدء، وما أقول ذلك سَرَفا ولا شَطَطا، فاسمعوا بأسماع واعية، وقلوب راعية، ثم قالت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن تَعْزُوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا

ابن عمّي دون رجالكم، ثم ذكرتْ كلاماً طويلاً سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني، تقول في آخره: ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرثَ لي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] إيهاً معاشرَ المسلمين، ابنُ إرث أبي! أبَى اللهُ أن تَرِث يابن أبي قُحافة أباك ولا أرِث أبي، لقد جئتَ شيئاً فَرِيّا! فدونَكَها مخطومةً مَرْحولةً تلقاك يومَ حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يَخسَر المُبطِلون، ولكلّ نبإ مستقرٌّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم! ثم التفتتْ إلى قبرِ أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدَك أنباءٌ وهَيْنَمةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثُرِ الخطبُ
أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورِهم ... لمّا قضيتَ وحالت دونَكَ الكُثُبُ
تجهّمتْنا رجالٌ واستُخِفّت بنا ... إذ غبتَ عنّا فنحن اليومَ نُغتصَبُ

قال: ولم ير الناسُ أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ.

ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت: يا معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الفَتْرة عن نُصْرتي، والوَنْيةُ عن معونتي، والغمزة في حقّي، والسِّنة عن ظُلامتي! أما كان رسول الله ﷺ يقول: «المرء يُحفظ في ولده»! سرْعانَ ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم. إلأنْ مات رسولُ الله ﷺ أمَتُّم دينه! ها إنّ موته لَعمرى خطبٌ جليل استوسع وَهنُه، واستبهم فتقُه، وفُقِد راتقُه، وأظلمت الأرض له، وخَشَعت الجبال، وأُكْدَت الآمال. أُضِيع بعدَه الحريم، وهُتِكت الحرمة، وأُذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2] إيها بني قَيْلة! اهتُضم تُراث أبي، وأنتم بمرأى ومَسمَع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العُدّة والعدد، ولكم الدار والجنّن وأنتم نُخبة الله الّتي انتخب، وخِيرته الّتي اختار! باديتم

(١) سورة المائدة ٥٠.
(٢) سورة آل عمران ١٤٤.

العَرَب، وبادهتم الأمور، وكافتحتم البهم حتى دارت بكم رَحَى الإسلام، ودرّ حلبه، وخبَتْ نيران الحرب، وسكنتْ فَوْرة الشِّرك، وهدأتْ دعوة الهَرَج، واستوثق نظام الدّين، أفتأخرتم بعد الإقدام، ونَكَصْتم بعد الشّدة، وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم نَكَثُوا أيمانَهم من بعدِ عهدِهم وطَعنوا في دِينكم! فقاتلوا أئمّة الكُفْر إنّهم لا أيمانَ لهم لعلّهم ينتهون. أ لَا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، ورَكَنتُم إلى الدّعة، فجحدتم الّذي وعيتم، وسُئْتم الذي سوّغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد، أ لَا وقد قلتُ لكم ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، وخَوَر القناة، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتوهامدبرة الظهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة، الّتي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تعمَلون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1][2]

قال: وحدّثني محمد بن زكريا قال: حدّثنا محمد بن الضحّاك قال: حدّثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحَكَم قال: لمّا كلّمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلّمته به حَمِد أبو بكر اللهَ وأثنَى عليه وصلّى على رسوله ثم قال: يا خَيْرَة النساء، وابنة خير الآباء، واللهِ ما عدوتُ رأيَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وما عملتُ إلّا بأمره، وإنّ الرائد لا يَكذِب أهلَه، وقد قلتِ فأبلغتِ، وأغلظتِ فأهجرتِ، فغَفَر الله لنا ولك. أمّا بعد، فقد دفعت آلَةَ رسول الله ودا بّته وحذاءه إلى عليّ عليه السلام، وأمّا ما سوى ذلك فإنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورِث ذهبا ولا فضّة ولا أرضا ولا عَقارا ولا دارا، ولكنّا نورث الإيمانَ والحكمةَ والعِلم والسّنة»، فقد عملت بما أمرني، ونصحت له، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

قال أبو بكر: وروى هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: إنْ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدَك، فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خَلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك، ولودِدْتُ أنّ السماء وقعت على

(١) سورة الشعراء ٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦.

الأرض يومَ مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقرى، أتراني أعطى الأحمر والأبيض حقّه وأظلمك حقّك، وأنت بنت رسول الله ﷺ! إن هذا المال لم يكن للنبيّ ﷺ، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفّيَ رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه. قالت: والله لا كلّمتك أبدا! قال: والله لا هجرتك أبدا؛ قالت: والله لأدعونّ الله عليك؛ قال: والله لأدعون الله لك، فلما حضرتْها الوفاةُ أوصتْ ألّا يُصَلّيَ عليها، فدفنتْ ليلاً، وصلّى عليها عباس بنُ عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة.

قال أبو بكر: وحدّثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيّها الناس، ما هذه الرِّعة إلى كلّ قالة! أين كانت هذه الأمانيّ في عهد رسول الله ﷺ ألا مَن سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم، إنما هو ثمالة شهيده ذنبه، مُربٌّ لكلّ فتنه، هو الذي يقول: كرّوها جذعة بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغيّ. ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقُلتُ ولو قلتُ لبحتُ، إنّي ساكت ما تركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغنى يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم. فقد جاءكم فآويتم ونَصرتم، ألا إنّى لستُ باسطا يداً ولا لسانا على مَنْ لم يستحقّ ذلك منّا.

ثم نزل؛ فانصرفتْ فاطمة ﷺ إلى منزلها.

قلت: قرأتُ هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصريّ وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلتُ: لو صرّح لم أسألك. فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب ﷺ، قلت: هذا الكلام كله لعليّ يقوله! قال: نعم، إنه المُلْك يا بنيّ، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم. فسألته عن غريبه، فقال: أما الرِّعة بالتخفيف، أي الاستماع والإصغاء؛ والقالة: القول، وثُمالة: اسم الثعلب علم غيرُ مصروف، ويمثل ذُؤالة للذئب، وشهيده ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدّعى إلّا بعضه وجزء منه، وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغُريَ الأسد بالذئب، فقال: إنه قد أكل الشاة

التي كنت قد أعددتها لنفسك، وكنت حاضرا، قال، فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة. فقبل شهادته، وقتل الذئب، ومُرِبّ: ملازم، أربٌّ بالمكان. وكرّوها جَذَعة: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعني الفتنة والهرْج. وأم طِحال: أمرأةٌ بغيٌّ في الجاهلية، ويضرب بها المثل فيقال: أزني من أمّ طِحال.

قال أبو بكر: وحدّثني محمد بن زكريّا قال: حدّثني ابن عائشة، قال: حدّثني أبي، عن عمّه قال: لمّا كلمت فاطمة أبا بكر بكى، ثم قال: يا بنةَ رسول الله، والله ما ورّث أبوك ديناراً ولا درهما، وإنّه قال: إن الأنبياء لا يورثون، فقالت: إنّ فَدَكَ وَهَبها لي رسولُ الله ﷺ، قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاء عليّ بن أبي طالب ﷺ فشهد، وجاءت أمّ أيمنَ فشهدتْ أيضاً، فجاء عمر بنُ الخطّاب وعبدُ الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول الله صلّى عليه وسلّم، كان يقسمها، قال أبو بكر: صدقت يا ابنةَ رسول الله ﷺ، وصدق عليّ، وصدقتْ أمّ أيمنَ، وصدق عمر، وصَدَق عبد الرحمن بن عوف، وذلك أنّ مالك لأبيك، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فَدَكَ قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبي؛ قال: فلك عليّ الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك، قالت: اللهَ لتفعلنّ! قال: الله لأفعلنّ، قالت: اللهمّ اشهد؛ وكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان عليّ كذلك؛ فلمّا ولى الأمرَ معاوية بن أبي سُفْيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عَمرو بنَ عثمان بن عفّان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ ﷺ ؛ فلم يزالوا يتداوّلونها حتى خَلَصتْ كلّها لمروان بن الحكم أيّام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهَبَها عبدُ العزيز لابنه عمرَ بن عبد العزيز، فلمّا وليَ عمر بن العزيز الخلافة، كانت أوّل ظُلامة ردّها، دعا حسنَ بنَ الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ ـ وقيل: بل دعا عليّ بن الحسين ﷺ ـ فردّها عليه، وكانت بَيد أولاد فاطمة ﷺ مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز، فلمّا ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مَرْوان كما كانت يتداولونها، حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلمّا ولى أبو العبّاس السفّاح ردّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم

قبضها أبو جعفر لمّا حدث من بنى حسن ما حدث، ثم ردّها المهديّ ابنُه على ولد فاطمةَ ﷺ، ثم قبضها موسى بن المهديّ وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولى المأمون، فردّها على الفاطميّين.

قال أبو بكر: حدّثني محمّد بن زكريا قال: حدثني مهديّ بن سابق، قال: جلس المأمون للمظالم، فأوّل رُقْعة وقعتْ في يده نظر فيها وبكى، وقال للّذى على رأسه: نادِ أين وكيلُ فاطمة؟ فقام شيخ عليه دُرّاعة وعمامة وخُفّ تَمِرّيّ، فتقدّم فجعل يناظره في فَدَك والمأمون يحتجّ عليه وهو يحتجّ على المأمون، ثم أمر أن يسجّل لهم بها، فكتب السجلّ وقرئ عليه، فأنفذه، فقام دِعْبل إلى المأمون فأنشده الأبيات الّتي أوّلها:

أصبَحَ وجهُ الزّمان قد ضَحِكا بردّ مأمونِ هاشم فَدَكا[1]

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيّام المتوكّل، فأقطعها عبدَ الله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلةً غَرَسها رسولُ الله ﷺ بيَده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحُجّاج أهدوْا لهم من ذلك التمر فيَصِلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي أميّة الثقفى إلى المدينة فصَرَمه، ثم عاد إلى البَصرة فقُلِج.

قال أبو بكر: أخبرَنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا: حدّثنا الوليد بن محمّد، عن الزّهريّ، عن عروة، عن عائشة أنّ فاطمة ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها مِنْ رسول الله ﷺ، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله ﷺ بالمدينة وفَدَك، وما بقى من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَث، ما تركْناه صَدَقة»، إنّما يأكل آلُ محمّد من هذا المال، وإنّي لا أغيّر شيئاً من صَدَقات رسول الله ﷺ عن حالها الّتي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر

(١) انظر الديوان ١١٩.

أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجِدَتْ من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت، وعاشتْ بعد أبيها ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفَنها عليّ ﷺ ليلا، ولم يُؤذِن بها أبا بكر. قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدّثنا محمد بن أحمد، عن مَعمر، عن الزّهريّ، عن عروة، عن عائشة، أنّ فاطمة والعبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضَه بفَدَك وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورَث، ما تركنا صدقة»، إنما يأكل آل محمّد ﷺ من هذا المال، وإنّي والله لا أغيّر أمرا رأيتُ رسول الله ﷺ يَصنعه إلّا صنعتُه. قال: فهجرتْه فاطمةُ فلم تكلّمه حتى ماتت. قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا عمر بن عاصم. وموسى بن إسماعيل قال: حدّثنا حماد بن سلمة، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن أمّ هانئ، أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا متَّ؟ قال: وَلدي وأهلي؛ قالت: فما لَكَ ترث رسولَ الله ﷺ دوننا؟ قال: يا ابنة رسول الله، ما وَرّث أبوك دارا ولا مالا ولا ذهبا ولا فضّة، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصار فيئنا الذي بيدك، فقال لها: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّما هي طُعْمة أطعَمَناها الله، فإذا متّ كانت بين المسلمين».

قال أبو بكر: وأخبَرَنا أبو زيد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة قال: حدّثنا محمّد بن الفضل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: أرسلتْ فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثتَ رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهلُه؛ قالت: فما بالُ سهم رسول الله ﷺ؟ قال: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله أطعم نبيّه طعمة» ثم قبضه، وجعله للّذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده، على أن أرده على المسلمين، قالت: أنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ أعلم.

قلت: في هذا الحديث عجب، لأنها قالت له: أنت ورثتَ رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهْله؛ وهذا تصريح بأنه ﷺ مَورُوث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: «لا نورَث». وأيضاً فإنّه يدلّ على أن أبا بكر استَنبط من قول رسول لله ﷺ أنّ الله أطعم نبيّا طعمة أن يُجريَ رسول الله ﷺ عند وفاته مجرى ذلك النّبي ﷺ، أو يكون

قد فهم أنّه عنى بذلك النّبى المنكر لفظا نفسه، كما فهم من قوله في خطبته، إن عبدا خيّره الله بين الدنيا وما عند ربّه، فاختار ما عند ربه، فقال أبو بكر: بل نفديك بأنفسنا.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: أخبرنا القعنبيّ قال: حدّثنا عبد العزيز بن محمّد، عن محمّد ابن عمر، عن أبي سلمة، أنّ فاطمة طلبتْ فَدَك من أبي بكر، فقال: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ النبيّ لا يُورّث»، من كان النبى يعولُه فأنا أعولُه، ومن كان النبيّ ﷺ يُنفق عليه فأنا أنفق عليه. فقالت: يا أبا بكر؛ أيرثك بناتُك ولا يرثُ رسول الله صلّى الله عليه وآله بناته؟ فقال: هو ذاك. قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثنا فضيل بن مرزوق قال: حدثنا البحتريّ بن حسّان قال: قلت لزيد بن عليّ ﷺ وأنا أريد أن أهجّن أمرَ أبي بكر، إنّ أبا بكر انتزع فَدَك من فاطمة ﷺ، فقال، إنّ أبا بكر كان رجلاً رحيما، وكان يكره أن يغيّر شيئاً فعَلَه رسول الله ﷺ، فأتته فاطمة فقالت: إنّ رسول الله ﷺ أعطاني فَدَك، فقال لها: هل لك على هذا بيّنة؟ فجاءت بعليّ ﷺ، فشهد لها، ثم جاءت أمّ أيمنَ فقالت: ألستما تشهدان أنّي من أهل الجنّة! قالا: بلى. قال أبو زيد يعني أنّها قالت لأبي بكر وعمر ـ قالت: فأنا أشهد أن رسول الله ﷺ أعطاها فَدَك، فقال أبو بكر: فرجل آخر أو امرأة أخرى لتستحقى بها القضيّة. ثم قال أبو زيد: وايم الله لو رجع الأمر إليّ لقضيتُ فيها بقضاء أبي بكر.

قال أبو بكر: وأخبَرنا أبو زيد قال: حدّثنا محمّد بن الصبّاح قال: حدّثنا يحيى بن المتوكل أبو عقيل، عن كثير النوال قال: قلت لأبي جعفر محمّد بن علي ﷺ: جعلني الله فداك! أرأيت أبا بكر وعمر، هل ظلماكم من حقّكم شيئاً ـ أو قال: ذهبا من حقّكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، ما ظلمنا من حقّنا مثقال حبّة من خردل؛ قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال: نعم ويحك! تولّهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة وبُنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدّثنا عبد الله بن نافع والقعنبيّ، عن

مالك عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة أنّ أزواج النبي ﷺ أردْن لما توفّيَ أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ ـ أو قال ثمنَهُنّ ـ قالت: فقلت لهنّ: أليس قد قال النبيّ ﷺ «لا نُورث، ما تركنا صدقة».

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدّثنا عبد الله بن نافع والقعنبيّ وبشر بن عمر، عن مالك، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: **«لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركتُ بعدَ نفقة نسائي ومؤونة عيالي فهو صدقة»**.

قلت: هذا حديث غريب، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده.

و قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد، عن الحزامي، عن ابن وهب، عن يونس عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«و الذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئاً، ما تركت صدقة»**، قال: وكانت هذه الصَّدقة بيَدِ عليّ ﷺ، غلب عليها العبّاس، وكانت فيها خصومتهما، فأبى عمرُ أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها العبّاس وغلب عليها ﷺ، ثم كانت بيدِ حسن وحسين ابني عليّ ﷺ، ثم كانت بيَدِ عليّ بن الحسين ﷺ والحسن بن الحسن، كلاهما يتداولانها، ثم بيد زيد بن عليّ ﷺ.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس، قال: حدثنا يونس، عن الزهريّ، عن مالك بن أوس بن الحدثان، أنّ عمر بن الخطّاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار، قال: فدخلتُ عليه وهو جالس على سرير رمال ليس بينه وبين الرمال فراش، على وسادة أدَم، فقال: يا مالك، إنه قد قدم من قومك أهلُ أبيات حضروا المدينة، وقد أمرت لهم برضْخ فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، مُرْ بذلك غيري، قال: اقسم أيها المرء.

قال: فبينا نحن على ذلك إذ دخل يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك؟ قال: نعم، فأذن لهم، قال: ثم لبث قليلاً، ثم جاء

فقال: هل لك في عليّ والعباس يستأذنان عليك؟ قال: ائذن لهما، فلما دخلا، قال عباس: يا أمير المؤمنين، إقض بيني وبين هذا ـ يعني عليّاً ـ وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، قال: فاستبّ عليّ والعباس عند عمر، فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين: اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال: عمر: أنشدكم الله الذي تقوم بإذنه السموات والأرض، هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَث، ما تركناه صدقة»، يعني نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل على العباس وعليّ فقال: أنْشُدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. قال عمر: فإني أحدّثكم عن هذا الأمر، إن الله تبارك وتعالى خصّ رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يُعطه غيره، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ، فما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطا كُمُوها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، وكان ينفق منه على أهله سنتهم، ثم يأخذ ما بقي فيجعله فيما يجعل مال الله عزّ وجلّ، فعل ذلك في حياته ثم توفّى، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ، فقبضه الله، وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، وأنتما حينئذ، والتفت إلى عليّ والعباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، والله يعلم أنه فيها لصادق بارٌّ راشد، تابع للحق، ثم توفّى اللهُ أبا بكر، فقلت: أنا أوْلى الناس بأبي بكر وبرسول الله ﷺفقبضتها سنتين ـ أو قال سنين من إمارتي ـ أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثم قال: وأنتما ـ وأقبل على العباس وعليّ ـ تزعمان أني فيها ظالم فاجر، والله يعلم أني فيها بارّ راشد، تابع للحق ثم جئتماني وكلمتكما واحدةً، وأمركما جميع، فجئتني ـ يعني العباس ـ تسألُني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا ـ يعني عليّاً ـ يسألني نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما، إنّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعها إليكما قلت: أدفعها على أنّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ

(١) سورة الحشر ٦.

وأبو بكر، وبما عملتُ به فيها، وإلّا فلا تكلّماني! فقلتُما: ادفعها إلينا بذلك، فدفعتُها إليكما بذلك، أفتلتمسان منّي قضاء غير ذلك! والله الذي تقوم بإذنه السّموات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ فأنا أكفيكماها!

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد قال، : حدّثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: حدّثني يونس، عن الزّهريّ قال: حدّثني مالك بن أوس بن الحدَثان بنحوه؛ قال فذكرت ذلك لعروة فقال: صدق مالك بن أوس، أنا سمعتُ عائشة تقول: أرسل أزواجُ النبيّ ﷺ عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهنّ من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه حتى كنت أردّهنّ عن ذلك، فقلت: ألا تتّقين الله، ألم تعلمْن أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا نورّث، ما تركناه صدقة**»، يريد بذلك نفسه؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال، فانتهى أزواج النبيّ ﷺ إلى ما أمرتهنّ به.

قلت: هذا مشكل، لأن الحديث الأول يتضمن أنّ عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان، فقال: نشدتكم الله، ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»، يعني نفسه! فقالوا: نعم، ومن جملتهم عثمان، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسّلا لأزواج النبيّ ﷺ: يسأله أن يعطيهنّ الميراث! اللهمّ إلّا أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدّقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحُسْنِ الظنّ، وسمّوْا ذلك عِلما، لأنه قد يطلق على الظنّ اسم العلم.

فإن قال قائل: فهلّا حسن ظنّ عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولا لزوجات النبيّ ﷺ في طلب الميراث؟

قيل له: يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكًّا، ثم يغلب على ظنه صِدْقه لأمارات اقتضت تصديقه، وكلّ الناس يقع لهم مثل ذلك.

وهاهنا إشكال آخر، وهو أنّ عمر ناشد عليّا والعبّاس، هل تَعلمان ذلك؟

فقالا: نعم، فإذا كان يعلمانه فكيف جاء العبّاس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر، وقد أوردناه نحن! وهل يجوز أن يقال: كان العبّاس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الّذي لا يستحقّه؟ وهل يجوز أن يقال: إنّ عليّا كان يعلم ذلك ويمكّن زوجته أن تطلب مالا تستحقّه، خرجت من دارها إلى المسجد، ونازعت أبا بكر، وكلّمته بما كلّمته إلّا بقوله وإذنه ورأيه. وأيضاً فإنه إذا كان ﷺ لا يُورَث، فقد أشكل دفع آلته ودابّته وحذائه إلى عليّ عليه السلام، لأ نّه غير وارث في الأصل، وإن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعُرْضة أن تَرث، لولا الخبر، فهو أيضاً غير جائز، لأنّ الخبر قد مَنَع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً.

فإن قال قائل: نحن معاشرَ الأنبياء لا نُوَرّث ذهبا ولا فضّة ولا أرضا ولا عَقارا ولا دارا.

قيل: هذا الكلام يُفهمَ من مضمونه أنّهم لا يورّثون شيئاً أصلا، لأنّ عادة العرب جاريةٌ بمثل ذلك، وليس يقصدون نفيَ ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتّصريح بنفي أن يورّثوا شيئاً ما على الإطلاق.

وأيضاً فإنّه جاء في خبر الدابّة والآلة والحذاء أ نّه رُوِي عن النبيّ ﷺ: «لا نُورَث، ما تركناه صدقة»، ولم يقل «لا نُورث كذا ولا كذا» وذلك يقتضي عموم انتفاء الإرث عن كلّ شيء.

وأما الخبر الثاني وهو الذي رواه هشام بن محمّد الكلبيّ، عن أبيه؛ ففيه إشكال أيضاً، لأ نّه قال: إنّها طلبت فَدَك، وقالت: إنّ أبي أعطانيها، وإنّ أمّ أيمن تشهد لي بذلك، فقال لها أبو بكر في الجواب: إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله ﷺ، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به الرجال، وينفقه في سبيل الله؛ فلقائل أن يقول له: أيجوز للنبيّ ﷺ أن يملّك ابنتَه أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعةً مخصوصة، أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين، لِوَحْي الله تعالى إليه، أو لاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد، أو لا يجوز للنبيّ ﷺ ذلك؟ فإن قال: لا يجوز، قال ما لا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه، وإن قال: يجوز ذلك، قيل: فإنّ المرأة ما اقتصرت على الدعوى، بل قالت: أمّ أيمن تشهد لي،

فكان ينبغي أن يقول لها في الجواب: شهادة أمّ أيمن وحدها غيرُ مقبولة؛ ولم يتضمّن هذا الخبرُ ذلك، بل قال لها لمّا ادّعت وذكرت من يشهد لها: هذا مالٌ من مال الله. لم يكن لرسول الله ﷺ؛ وهذا ليس بجواب صحيح.

وأمّا الخبر الّذي رواه محمّد بن زكريّا عن عائشة، ففيه من الإشكال مثل ما في هذا الخبر، لأ نّه إذا شهد لها عليّ ﷺ وأمّ أيمن أنّ رسول الله ﷺ وهب لها فَدَك، لم يصحّ اجتماع صِدْقها وصِدْق عبد الرحمن وعمر، ولا ما تكلّفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم، لأنّ كونها هِبَة من رسول الله ﷺ لها يَمْنَع من قوله: «كان يأخذ منها قُوتَكم ويَقسم الباقيَ، ويحْمِل منه في سبيل الله»، لأنّ هذا ينافي كونها هبة لها؛ لأنّ معنى كونها لها انتقالها إلى مِلْكيّتها، وأن تتصرّف فيها خاصّة دون كلّ أحد من الناس، وما هذه صفتُه كيف يقسم ويحمل منه في سبيل الله! فإن قال قائل: هو ﷺ أبوها، وحُكمُه في مالها كحُكمِه في ماله وفي بيت مال المسلمين، فلعلّه كان بحكم الأبوّة يفعل ذلك!

قيل: فإذاً كان يتصرّف فيها تصرُّف الأب في مال ولده، لا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده، فإذا مات الأب لم يجز لأحد أن يتصرّف في مال ذلك الولد، لأ نّه ليس بأب له فيتصرّف في ماله تصرّف الآباء في أموال أولادهم؛ على أنّ الفقهاء أو مُعظمَهم لا يجيزون للأب أن يتصرف في مال الابن. وهاهنا إشكالٌ آخر، وهو قول عمر لِعليّ ﷺ والعبّاس: وأنتما حينئذ تزعمان أنّ أبا بكر فيها ظالم فاجر، ثم قال لمّا ذكر نفسه: وأنتما تزعمان أنّي فيها ظالم فاجر، فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزّعم مع كونهما يعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا أورَث»! إن هذا لمن أعجب العجائب، ولولا أنّ هذا الحديث ـ أعني حديث خصومة العبّاس وعليّ عند عمر ـ مذكورٌ في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصّحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحّته؛ وإنما الحديث في الصّحاح لا ريب في ذلك.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا ابن أبي شَيْبة، قال: حدّثنا ابن عُلَيّة، عن أيّوب، عن عكرمة، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: جاء العبّاس

وعليّ إلى عمر، فقال العباس: اقضِ بيني وبين هذا الكذا وكذا، أي يشتمه، فقال الناس: افصل بينهما، فقال لا أفصل بينهما، قد علما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَث، ما تركناه صدقة**».

قلت: وهذا أيضاً مُشكل، لأنّهما حضرا يتنازعان لا في الميراث، بل في ولاية صدقة رسول الله ﷺ أيّهما يتولّاها ولايةً لا إرثاً! وعلى هذا كانت الخصومة، فهل يكون جواب ذلك قد علما أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَث**»!

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثني يحيى بن كثير أبو غسّان قال: حدّثنا شعبة عن عمر بن مرّة، عن أبي البَختريّ قال: جاء العبّاس وعليّ إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: أنشُدكم الله، أسمعتم رسولَ الله صلّى الله عليه يقول: «**كلّ مال نبيّ فهو صدقة، إلا ما أطعمه أهله، إنّا لا نُورَث**»! فقالوا: نعم، قال: وكان رسول الله يتصدّق به، ويَقسم فضله، ثم توفّيَ فوليَه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يَصنعُ رسول الله ﷺ، وأنتما تقولان: إنّه كان بذلك خاطئا، وكان بذلك ظالما، وما كان بذلك إلّا رشادا، ثم وُليتُه بعد أبي بكر فقلت لكما، إن شئتما قبلتُماه على عمل رسول الله ﷺ وعهده الّذي عهد فيه، فقلتما: نعم، وجئتماني الآن تختصمان؛ يقول هذا: أريد نصيبي من إبن أخي، ويقول هذا: أريد نصيبي من امرأتي! والله لا أقضي بينكما إلّا بذلك. قلتُ: وهذا أيضاً مُشكل، لأن أكثر الروايات أنّه لم يَروِ هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدّثين، حتّى إنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابيّ الواحد. وقال شيخنا أبو عليّ: لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده: «**نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث**»، حتى إنّ بعض أصحاب أبي عليّ تكلّف لذلك جواباً، فقال: قد رُوى أنّ أبا بكر يوم حاجّ فاطمة ﷺ قال: أنشُد امرأً سمعَ مِن رسول الله ﷺ في هذا شيئاً! فرَوَى مالك بن أوس بن الحدثان؛ أنّه سمعه من رسول الله ﷺ، وهذا الحديث ينطق بأنه استَشهد عمرَ وطلحةَ والزبيرَ وعبدَ الرحمن وسعدا، فقالوا: سمعناه من رسول الله ﷺ، فأين كانت هذه الروايات أيّام أبو بكر! ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمةَ ﷺ وأبي بكر رَوَى من هذا شيئاً.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن الزُّهريّ، عن عروة، عن عائشة أنّ أزواج النبيّ ﷺ أرسلنَ عثمان إلى أبي بكر، فذكر الحديث، قال عروة: وكانت فاطمة قد سألتْ ميراثَها من أبي بكر ممّا تركه النبيّ ﷺ، فقال لها: بأبي أنتِ وأمّي، وبأبي أبوكِ وأمّي ونفسي، إن كنتِ سمعتِ من رسول الله ﷺ شيئاً، أو أمركِ بشيء لم أتّبع غير ما تقولين، وأعطيتكِ ما تبتغين، وإلّا فإني أتبع ما أُمِرتُ به!

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد قال: حدّثنا عمرو بن مرزوق، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي البَختريّ قال: قال لها أبو بكر لمّا طلبتْ فَدَك: بأبي أنتِ وأمّي! أنت عندي الصادقة الأمينة، إن كان رسولُ الله ﷺ عَهِد إليك في ذلك عهدا، أو وَعَدَكِ به وعدا، صدّقْتُكِ، وسلّمتُ إليك! فقالت: لم يعهد إليّ في ذلك بشيء، ولكنّ الله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[1]، فقال: أشهد لقد سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نُورّث».

قلت: وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر، لأنّها قد ادّعت أنه عَهِد إليها رسولُ الله ﷺ في ذلك أعظم العهد، وهو النِّحْلة، فكيف سكتت عن ذكر هذا لمّا سألها أبو بكر! وهذا أعجبُ من العجب.

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد؛ قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأنصاريّ عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الْحَدَثان، قال: سمعتُ عمر وهو يقول للعبّاس وعليّ وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة: أنشُدكم اللهَ هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّا لا نُورّث، معاشرَ الأنبياء، ما تركنا صدقة»؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أنشُدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ يدخل في فيئه أهله السّنة من صدقاته، ثم يجعل ما بقيَ في بيت المال؟ قالوا: اللّهمّ نعم، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ قبضها أبو بكر، فجئت يا عبّاسُ تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجئت يا عليّ تطلب ميراث زوجتك من أبيها!

---

(١) سورة النساء ١١.

وزعمتما أن أبا بكر كان فيها خائنا فاجرا، والله لقد كان أمراً مطيعا، تابعا للحق، ثم توفّيَ أبو بكر فقبضتها، فجئتماني تطلبان ميراثكما، أما أنت يا عبّاس فتطلب ميراثك من ابن أخيك، وأما عليّ فيطلب ميراث زوجته من أبيها، وزعمتما أنّي فيها خائن وفاجر، والله يعلم أنّي فيها مطيع تابع للحقّ؛ فأصلحا أمرَكما، وإلّا والله لم ترجع إليكما. فقاما وتركا الخصومة وأمضيت صدقة.

قال أبو زيد: قال أبو غسّان: فحدّثنا عبد الرّزاق الصنعانيّ، عن مَعْمَر بن شهاب، عن مالك بنحوه، وقال في آخره: فغلب عليٌّ عباسا عليها، فكانت بيَدِ عليّ، ثم كانت بيد الحسن، ثم كانت بيد الحسين، ثم عليّ بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن. قلت: وهذا الحديث يدلّ صريحا على أنّهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية، وهذا من المُشكِلات، لأنّ أبا بكر حَسَم المادّة أوّلا، وقرّر عند العبّاس وعليّ وغيرهما أنّ النبيّ ﷺ لا يُورَث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك، فكيف يعود العبّاس وعليّ بعد وفاة أبي بكر، يحاولان أمرا قد كان فُرِغ منه، ويُئِس من حصوله، اللهمّ إلّا أن يكونا ظنّا أن عمر يَنقُض قضاءَ أبي بكر في هذه المسألة، وهذا بعيد، لأنّ عليّا والعبّاس كانا في هذه المسألة يتّهمان عمر بممالأة أبي بكر على ذلك ألا تراه يقول: نسبتُماني ونسبتُما أبا بكر إلى الظلم والخيانة، فكيف يظنّان أنّه ينقض قضاء أبي بكر ويورّثهما!

واعلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنِّحلة، وقد وجدتُ في الحديث أنّها نازعتْ في أمر ثالث، ومنَعها أبو بكر إيّاه أيضاً، وهو سهم ذوي القربى.

قال أبو أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ: أخبرني أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثني هارون بن عمير، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدّثني صدقة أبو معاوية، عن محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر، عن يزيد الرُّقاشيّ، عن أنس بن مالك، أنّ فاطمة ﷺ أتت أبا بكر فقالت: لقد علمت الّذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذَوِي القربى! ثم قرأت عليه قولَه تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ

﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[1] الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمّي ووالد وَلَدَكِ! السمع والطاعة لكتاب الله والحقّ رسول الله ﷺ، وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الّذي تقرئين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السّهم من الخمس يسلَّم إليكم كاملا؛ قالت: أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا، بل أُنفق عليكم منه، وأصرِف الباقي في مصالح المسلمين قالت: ليس هذا حكم الله تعالى؛ قال: هذا حكم الله، فإن كان رسولُ الله عَهِد إليك في هذا عهدا أو أوجَبه لكم حقا صدّقتكِ وسلّمته كلّه إليك وإلى أهلك؛ قالت: إنّ رسول الله ﷺ لم يَعهَد إليّ في ذلك بشيء، إلّا أنّي سمعته يقول لما أنزلت هذه الآية: «**أبشروا آلَ محمّد فقد جاءكم الغِنى**»؛ قال أبو بكر: لم يبلغ علمي من هذه الآية أن أسلّم إليكم هذا السّهم كلّه كاملا، ولكنْ لكم الغنى الّذي يُغنيكم، ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح فاسألِيهم عن ذلك، وانظري هل يوافِقُك على ما طلبتِ أحد منهم! فانصرفتْ إلى عمر فقالت له مِثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر، فعجبتْ فاطمة عليها السلام من ذلك، وتظنّت أنّهما كانا قد تذاكَرا ذلك واجتمعا عليه.

قال أبو بكر: وأخبَرَنا أبو زيد قال: حدثنا هارون بن عمير، قال: حدّثنا الوليد، عن ابن أبي الهِيمة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: أرادت فاطمةُ أبا بكر على فَدَك وسهم ذوي القربى، فأبى عليها، وجعلهما في مال الله تعالى.

قال أبو بكر: وأخبَرَنا أبو زيد، قال: حدّثنا أحمد بن معاوية، عن هيثم، عن جويبر، عن أبي الضحّاك عن الحسن بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنّ أبا بكر منَع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله في السلاح والكُراع.

قال أبو بكر: وأخبَرَنا أبو زيد قال: حدّثنا حيّان بن هلال، عن محمد بن يزيد بن ذريع عن محمّد بن إسحاق، قال: سألتُ أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام؛ قلت: أرأيتَ عليّا حين وليَ العراق وما ولي من أمر الناس كيف صنع في سهم ذوي

(١) سورة الأنفال ٤١.

القربى؟ قال: سَلَك بهم طريقَ أبي بكر وعمر؛ قلت: وكيف؟ ولم؟ وأنتم تقولون ما تقولون! قال: أما والله ما كان أهْله يَصدُرون إلّا عن رأيه؛ فقلت: فما منَعه؟ قال: كان يكره أن يُدّعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر.

قال أبو بكر: وحدثني المؤمّل بن جعفر، قال: حدّثني محمّد بن ميمون، عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن ونحن راجعون من الحجّ في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحدَ مَنْ سأله، فسألتُه عن أبي بكر وعمرَ، فقال: سئل جدّي عبد الله ابن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمّي صدّيقة بنت نبيّ مرسل، فماتت وهي غَضْبَى على إنسان، فنحن غِضابٌ لغضبها، وإذا رضيتْ رَضِينا.

قال أبو بكر: وحدّثني أبو جعفر محمّد بن القاسم قال: حدّثني عليّ بن الصّباح قال: أنشدنا أبو الحسن رواية المفضّل للكميت:

أهوَى عليّاً أميرَ المؤمنين وَ لَا ... أرضَى بشتمِ أبي بكر ولا عُمَرا[1]

ولا أقولُ وإن لم يُعطِيَا فَدَكاً ... بنتَ النبيّ ولا ميراثها: كَفَرَا

الله ﷻ يَعلم ماذا يَحضُران به ... يومَ القيامة من عذر إذا اعتَذَرَا

قال ابن الصبّاح: فقال أبو الحسن: أتقول: إنّه قد أكفرهما في هذا الشعر! قلت: نعم، قال: كذاك هو.

قال أبو بكر: حدّثنا أبو زيد، عن هارون بن عمير، عن الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن عباس، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن مولى أمّ هانئ، قال: دخلتْ فاطمةُ على أبي بكر بعد ما استُخلف، فسألته ميراثَها من أبيها، فمنعها، فقالت له: لئن مُتَّ اليومَ مَن كان يرثُك؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فلمَ وَرِثتَ أنتَ رسولَ الله ﷺ دون ولده وأهله؟ قال: فما فعلتُ يا بنتَ رسول الله ﷺ! قالت: بلى، إنك عمدتَ إلى فَدَك، وكانت صافيةً لرسول الله ﷺ فأخذتها، وعمدتَ إلى ما أنزل

(١) انظر الهاشميات ٨٣، ٨٣.

الله من السماء فرفعتّه عنّا، فقال: يا بنتَ رسول الله ﷺ، لم أفعل؛ حدّثني رسولُ الله ﷺ أنّ الله تعالى يُطعِم النبيَّ ﷺ الطُّعمة ما كان حيّا، فإذا قبضه الله إليه رُفعتْ، فقالت: أنتَ ورسولُ الله أعلم، ما أنا بسائلتكَ بعد مجلسي، ثم انصرفَتْ.

قال أبو بكر: وحدّثنا محمد بن زكريّا، قال: حدّثنا محمد بن عبد الرّحمن المهلّبي، عن عبد الله بن حمّاد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمّه فاطمة بنتِ الحسين عليها السلام، قالت: لمّا اشتدّ بفاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ الوجع وثَقُلتْ في علّتها، اجتمع عندها نساءٌ من نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: كيف أصبحتِ يا ابنةَ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: والله أصبحتُ عائفةً لدُنْيَاكم، قالِيَةً لرجالكم، لفظتُهم بعد أن عَجَمتُهم، وشنِئتهم[1] بعد أن سَبَرْتهم، فقبحاً لفُلول الحدّ وخَوَر القناة، وخَطَل الرأي! وبئسما قدّمَتْ لهم أنفُسهم أنْ سَخِط اللهُ عليهم وفي العذاب هم خالدون؛ لا جرم! قد قلّدتهم رِبْقَتها، وشنّت عليهم غارتها، فَجدْعا وعَقْرا، وسُحْقا للقوم الظالمين! وَيْحَهم! أين زحزحوها عن رَوَاسي الرّسالة، وقواعدِ النبوّة، ومَهبِط الرُّوح الأمين، والطبّبين بأمر الدّنيا والدّين، ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الّذي نَقَموا من أبي حسن! نَقَموا واللهِ نكيرَ سيفه، وشِدَّة وَطْأته، ونَكالَ وَقْعته، وتنمّره في ذات الله، وتالله لو تكافُّوا عن زِمام نبذَه إليه رسولُ الله ﷺ لاعتَلَقه، ولسار إليهم سيرا سُجُحا، لا تكلَم خشاشته، ولا يتعتَع راكبه، ولأوردهم مَنهلا نَميرا فضفاضا يطفح ضفّتاه، ولأصدرهم بِطاناً قد تحيّر بهم الرأي، غير متحلّ بطائل، إلّا بغَمْر الناهل، وردعه سورة الساغب، ولفتحتْ عليهم بركات من السّماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلمّ فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلى أيّ لجأ استندوا، وبأيّ عُروة تمسّكوا! لبئسَ المَولى ولبئس العَشِير، ولبئس للظّالمين بدلا! استبدلوا والله الذُّنابَى بالقَوادم، والعَجُز بالكاهل؛ فرغْما لمعاطس قوم يَحسَبون أنّهم يُحسِنون صُنْعا، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2]، وَيْحهم! ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ

(١) شنئتهم: أبغضتهم.
(٢) سورة البقرة ١٢.

﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]! أما لَعَمر الله لقد لقِحت، فنظرة رَيْثما تُنْتَج، ثم احتلبوها طِلاعَ العَقْب دَماً عَبيطا وذُعافا مُمقِرا هنا لك يَخسَر المُبطِلون، ويَعرِف التالون غِبَّ ما أسّس الأوّلون، ثم طِيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمئنّوا للفتنة جأشا، وأبشِروا بسيف صارم، وهرْج شامل، واستبداد من الظالمين يَدَعُ فيئكم زهيدا، وجمعَكم حَصِيدا؛ فيا حسرةً عليكم، وأنّى لكم وقد عُمِّيتْ عليكم أنلزِمكموها وأنتم لها كارهون! والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه على محمد خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين.

قلتُ: هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكرُ فَدَك والميراث، إلّا أنّه من تتمّة ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندها، وبيانٌ لشدّة غيظها وغَضَبها، فإنّه سيأتي فيما بعدُ ذكر ما يناقض به قاضي القضاة والمرتضى في أنّها هل كانت غَضْبَى أم لا! ونحن لا ننصر مذهباً بعينه، وإنّما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحثٌ نظريٌّ قلنا ما يقوى في أنفسنا منه.

واعلم أنّا إنّما نذكر في هذا الفصل ما رواه رجالُ الحديث وثِقاتُهم، وما أوْدعه أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ في كتابه، وهو من الثّقات الأمناء عند أصحاب الحديث، وأمّا ما يرويه رجال الشّيعة والأخباريّون منهم في كتبهم من قولهم: إنّهما أهانَاها وأسمَعاها كلاماً غليظا، وإنّ أبا بكر رقّ لها حيث لم يكن عمرُ حاضرا، فكتب لها بفَدَك كتابا؛ فلمّا خرجتْ به وجدَها عمر، فمدّ يده إليه ليأخذه مغالبةً، فمنعته، فدفع بيَدِه في صدرها وأخَذ الصحيفةَ فخرقها بعد أن تَفَل فيها فمحاها، وإنها دعت عليه فقالت: بَقَر الله بطنَك كما بقرتَ صحيفتي؛ فشيءٌ لا يرويه أصحابُ الحديث ولا ينقُلونه، وقدرُ الصّحابة يَجِلّ عنه، وكان عمرُ أتقى لله ﷻ؛ وأعرفَ لحقوق الله من ذلك، وقد نَظَمت الشّيعة بعضَ هذه الواقعة الّتي يذكرونها شِعراً أوّله أبياتٌ لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته الّتي أوّلها[2]:

يا ابنةَ القومِ تُراكِ بالغٌ قَتْلي رِضاكِ

---

(١) سورة يونس ٣٥.

(٢) انظر الديوان ٢: ٣٦٧، ٣٦٨.

وقد ذيّل عليها بعضُ الشِّيعة وأتمّها، والأبيات:

يـا ابـنـة الـطّـاهِـرِ كَـمْ ثُـقْـ ... ـرَعُ بـالـظّـلـم عَـصـاكِ
غَـضِـبَ اللهُ لـسَـخْـطِ الـ ... ـلـيـلـةَ الـطَّـفّ عَـراكِ
ورَعَـى الـنـارَ غَـداً قَـ ... ـطّ رعَـى أمِـس حِـمـاكِ
مَـرّ لـم يـعـطِـفـه شَـكـوَى ... و لا اسـتـحـيَـا بـكـاكِ
واقـتـدى الـنـاس بـه بـعـ ... ـدُ فـأرْدَى وَلَـدَاكِ
يـا ابـنـةَ الـرّاقـى إلـى الـسّـ ... ـرة فـي لـوح الـسـمـاكِ
لـهـف نـفـسـي وعـلـى مِـثـ ... ـلِـك فـلْـتـبـكِ الـبَـواكـي
كـيـف لـم تـقـطـع يَـدٌ مُـ ... ـدَّ إلـيـك ابـن صـحـاك
فَـرِحـوا يـومَ أهـانـو ... كِ بـمـا سـاءَ أبـاكِ
ولـقـد أخـبَـرَهـم أنْ ... رِضـاه فـي رِضـاكِ
دَفـعـا الـنـصّ عـلـى إر ... ثـك لـمّـا دَفَـعـاكِ
وتـعـرّضْـتِ لـقَـذْ ... تـافـه وانـتَـهَـراكِ
وادّعـيـت الـنِّـحْـلـةَ الـمـشـ ... ـهـود فـيـهـا بـالـصّـكـاكِ
فـأسـتـشـاطَـا ثـم مـا إن ... كَـذَبـا إن كـذبـاكِ
فـزوَى الله عـن الـرّحْـ ... ـمـةِ زنـديـقـاً ذَواكِ
ونَـفَـى عـن بـابـه الـوا ... سـع شـيـطـاناً نَـفـاكِ

وقال ابن أبي الحديد: فانظر إلى هذه البليّة التي صبّت من هؤلاءِ على سادات المسلمين، وأعلام المهاجرين! وليس ذلك بقادح في عُلوّ شأنهم، وجلالة مكانهم، كما أنّ مُبغضي الأنبياء وحَسَدتهم، ومصنّفي الكتب في إلحاق العَيْبِ والتهجين لشرائعهم لم تزدْ لأنبيائهم إلّا رفعة، ولا زادت شرائعَهم إلّا انتشارا في الأرض، وقبولا في النفس، وبهجةً ونورا عند ذوى الألباب والعقول.

وقال لي عَلَوِيّ في الحِلّة يُعرَف بعلى بن مهنأ، ذكيّ ذو فضائل: ما تظنّ قصدَ

أبي بكر وعمرَ بمنع فاطمة فَدَكَ؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا ألّا يُظهرا لعليّ ـ وقد اغتصباه الخلافة ـ رقّة ولينا وخذلانا، ولا يرى عندهما خوَرا، فأتْبعا القرْح بالقرْح.

وقلت لمتكلّم من متكلّمي الإمامية يُعرَف بعليّ بن تقيّ من بلدة النيل: وهل كانت فَدَكُ إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمرُ كذلك، بل كانت جليلة جدًّا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلّا ألّا يتقوّى عليٌّ بحاصِلِها وغَلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعليّ وسائر بني هاشم وبني المطلب حقَّهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب المُلك والرياسة، فانظر إلى ما قد وقَر في صدور هؤلاء، وهو داءٌ لا دواء له، وما أكثر ما تزول الأخلاق والشِّيم، فأما العقائد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها!

■ ■ ■

الفصل الثاني

في النظر في أنّ النبيّ هل يُورَث أم لا

نذكر في هذا الموضع ما حكاه المرتضى ﷺ في «الشافي»[١] عن قاضي القضاة في هذا المعنى.

قال المرتضى: أوّل ما ابتدأ به قاضي القضاة حكايته عنّا استدلالنا على أنّه ﷺ مورِّث بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[٢] وهذا الخطاب عامّ يدخل فيه النبيّ وغيرُه.

ثم أجاب ـ يعني قاضي القضاة ـ عن ذلك، فقال: إنّ الخبر الذي احتجّ به أبو بكر ـ يعني قوله: «نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث» ـ لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمرَ وعثمانَ وطلحةَ والزبيرَ وسعدا وعبد الرحمن، فشهدوا به، فكان لا يحلّ لأبي بكر وقد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثا، وقد خبر رسول الله ﷺ بأنها صدقة وليست بميراث، وأقلّ ما في هذا الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد، فلو أنّ شاهدين شهدا في التركة أنّ فيها حقّا، أليس كان يجب أن يصرف ذلك عن الإرث! فعلمُه بما قال رسول الله ﷺ مع شهادة غيره أقوى. ولسنا نجعله مدّعيا لأنّه لم يدّع ذلك لنفسه، وإنما بيّن أنه ليس بميراث، وأنه صدقة. ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك، كما يخصّ في العبد والقاتل وغيرهما، وليس ذلك بنقْص في الأنبياء، بل هو إجلالٌ لهم، يرفع اللهُ به قدرهم عن أن يورّثوا المال،

(١) انظر الشافي: ٢٢٨ ـ ٢٣٠.
(٢) سورة النساء ١١.

وصار ذلك من أوكد الدواعي ألّا يتشاغلوا بجمعه، لأنّ أحد الدواعي القوية إلى ذلك تركه على الأولاد والأهلين. ولما سمعتْ فاطمة ﷺ ذلك من أبي بكر كفّت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار الصحيحة، فلا يمتنع أن تكون غيرَ عارفة بذلك، فطلبت الإرث، فلما رَوَى لها ما رَوَى كَفّت، فأصابت أولا وأصابت ثانيا. وليس لأحد أن يقول: كيف يجوز أن يبين النبيّ ﷺ ذلك للقوم ولا حقّ لهم في الإرث، ويدَع أن يبين ذلك لمن له حقّ في الإرث، مع أنّ التكليف يتصل به؛ وذلك لأنّ التكليف في ذلك يتعلّق بالإمام، فإذا بيّن له جاز ألا يبيّن لغيره ويصير البيان له بياناً لغيره، وإن لم يسمعه من الرّسول، لأنّ هذا الجنس من البيان يجب أن يكون بحسب المصلحة!

قال: ثم حكى عن أبي عليّ أنه قال: أتعلمون كذِبَ أبي بكر في هذه الرواية، أم تجوّزون أن يكون صادقا؟ قال: وقد علم أنه لا شيء يقطع به على كذبه، فلا بدّ من تجويز كونه صادقا. وإذا صحّ ذلك قيل لهم: فهل كان يحلّ له مخالفة الرسول؟ فإن قالوا: لو كان صِدْقا لظهر واشتهر، قيل لهم: إنّ ذلك من باب العمل، ولا يمتنع أن ينفرد بروايته جماعة يسيره، بل الواحد والاثنان، مثل سائر الأحكام ومثل الشهادات، فإن قالوا نعلم أنه لا يصحّ لقوله تعالى في كتابه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]. قيل لهم: ومن أين أنه ورّثه الأموال؛ مع تجويز أن يكون ورثّه العلم والحكمة؟ فإن قالوا: إطْلاق الميراث لا يكون إلّا في الأموال؛ قيل لهم: إن كتاب الله يُبطل قولَكم، لأنه قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، والكتاب ليس بمال، ويقال في اللغة: ما وَرِثْت الأنبياءُ عن الآباء شيئاً أفضلَ من أدب حَسَن؛ وقالوا: العلماء وَرَثة الأنبياء، وإنما ورثوا منهم العلم دون المال، على أنّ في آخر الآية ما يدلّ على ما قلناه، وهو قولُه تعالى حاكيا عنه: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[3]، فنبّه على أنّ الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأوّل. فإن قالوا: فقد قال تعالى:

(١) سورة النمل ١٦.
(٢) سورة فاطر ٣٢.
(٣) سورة النمل ١٦.

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1]، وذلك يُبطل الخبر! قيل لهم: ليس في ذلك بيانُ المال أيضاً، وفي الآية ما يدلُّ على أنّ المراد النبوّة والعلم، لأن زكريا خاف على العلم أن يندرس، وقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾[2] يدلّ على ذلك، لأنّ الأنبياء لا تحرص على الأموال حرصاً يتعلق خوفها بها، وإنما أراد خوفه على العلم أن يضيع، فسأل الله تعالى وليّا يقوم بالدّين مقامه. وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يدلّ على أنّ المراد العلمُ والحكمة، لأنه لا يرث أموال يعقوبَ في الحقيقة، وإنما يرث ذلك غيره. قال: فأمّا مَنْ يقول: إنّ المراد: أنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورَث، ما تركناه صدقة، أي ما جعلناه صدقةً في حال حياتنا لا نورِّثُهُ، فركيك من القول، لأنّ إجماع الصحابة يخالفه، لأنّ أحداً لم يتأوّله على هذا الوجه، لأنه لذا يكون في ذلك تخصيص الأنبياء، ولا مزية لهم، ولأن قوله: «ما تركناه صَدَقة»، جملة من الكلام مستقلّة بنفسها، كأنه ﷺ مع بيانه أنهم لا يورثون المال، يبيّن أنه صدقة، لأنه كان يجوز ألّا يكون ميراثا، ويصرف إلى وجه آخر غير الصدقة.

قال: فأمّا خبر السّيف والبغلة والعمامة وغير ذلك؛ فقد قال أبو عليّ: إنّه لم يثبت أنّ أبا بكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين ﷺ على جهة الإرث، كيف يجوز ذلك مع الخبر الّذي رواه، وكيف يجوز لو كان وارثا أن يخصّه بذلك ولا إرث له مع العمّ لأ نّه عصبة! فإن كان وصل إلى فاطمة ﷺ فقد كان ينبغي أن يكون العبّاس شريكا في ذلك وأزواج الرّسول ﷺ، ولوَجب أن يكون ذلك ظاهرا مشهوراً ليُعرف أنّهم أخذوا نصيبَهم من ذلك أو بَذَله، ولا يجب إذا لم يدفع أبو بكر ذلك إليه على جهة الإرْث ألّا يحصل ذلك في يده، لأ نّه قد يجوز أن يكون النبيّ ﷺ نَحَله ذلك، ويجوز أيضاً أن يكون أبو بكر رَأى الصّلاحَ في ذلك أن يكون بيَدِه لما فيه من تقويَة الدّين، وتصدّق ببدله بعد التقويم، لأنّ الإمام له أن يفعل ذلك.

قال: وحكى عن أبي عليّ في البُرْد والقضيب أنه لم يمتنع أن يكون جعَلَه عُدّة

---

(١) سورة مريم ٥، ٦.

(٢) سورة مريم ٥.

في سبيل الله وتقويّة على المشركين، فتداولته الأئمّة لما فيه من التقوية، ورأى أنّ ذلك أولى من أن يتصدّق به إن ثبت أنه ﷺ لم يكن قد نحله غَيْره في حياته، ثم عارض نفسَه بطلب أزواج النبيّ ﷺ الميراث، وتنازع أمير المؤمنين ﷺ والعبّاس بعد موت فاطمةَ ﷺ. وأجاب عن ذلك بأن قال: يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر.

وقد رُوِي أنّ عائشة لمّا عرّفتهنّ الخبرَ أمسكن، وقد بيّنا أنّه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحقّ الإرْث، ويعرفه من يتقلّد الأمر، كما يَعرِف العلماءُ والحكّام من أحكام المواريث مالا يعلَمه أرباب الإرث، وقد بيّنا أنّ رواية أبي بكر مع الجماعة أقوى من شاهدين لو شهد أنّ بعضَ تركته ﷺ دَيْن، وهو أقوى من رواية سلمان وابن مسعود لو رَوَيا ذلك.

قال: ومتى تعلقّوا بعموم القرآن أرَيْناهم جوازَ التخصيص بهذا الخبر، كما أنّ عموم القرآن يقتضي كون الصّدقات للفقراء، وقد ثبت أنّ آل محمد لا تَحلّ لهم الصدقة.

هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضِي القُضاة[1].

ثم قال: نحن نبيّن أوّلا ما يدلّ على أنّه ﷺ يورّث المال، ونرتّب الكلام في ذلك الترتيب الصحيح، ثم نَعطف على ما أورده، ونتكلّم عليه. قال ﷺ: والّذي يدلّ على ما ذكرنا قوله تعالى مخبرا عن زكريّا ﷺ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[2]؛ فخبّر أنه خاف من بني عمّه، لأن الموالي هاهنا هم بنو العمّ بلا شبهة، وإنّما خافهم أنْ يَرثوا ماله فينفقوه في الفساد، لأ نّه كان يعرف ذلك من خلائقهم وطرائقهم، فسأل ربّه ولدا يكون أحقّ بميراثه منهم. والذي يدلّ على أنّ المراد بالميراث المذكور ميراثُ المال دون العلم والنبوّة على ما يقولون أنّ لفظة الميراث

(١) انظر الشافي ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) سورة مريم ٥، ٦.

في اللغة والشريعة لا يفيد إطلاقُها إلّا على ما يجوز أن ينتقل على الحقيقة من الموروث إلى الوارث، كالأموال وما في معناها، ولا يُستَعمل في غير المال إلّا تجوّزا واتّساعا، ولهذا لا يُفهَم من قول القائل: لا وارث لفلان إلّا فلان، وفلانٌ يرث مع فلان بالظاهر والإطلاق إلّا ميراث الأموال والأعراض دون العلوم وغيرها. وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مَجازه بغير دلالة. وأيضاً فإنّه تعالى خبّر عن نبيّه أ نّه اشترط في وارثه أن يكون رضيّا، ومتى لم يُحمل الميراث في الآية على المال دون العلم والنبوّة لم يكن للاشتراط معنًى، وكان لغواً وعبثا؛ لأنه إذا كان إنما سأل مَنْ يقوم مقامه، ويرِث مكانه فقد دخل الرّضا وما هو أعظم من الرّضا في جملة كلامه وسؤاله؛ فلا مقتضى لاشتراطه؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول: اللهم ابعث إلينا نبيّا واجعله عاقلا، [و مكلّفا] ؛ فإذا ثبتتْ هذه الجملة صحّ أنّ زكريّا موروثٌ مالُه. وصحّ أيضاً لصحتّها أن نبيّنا ﷺ ممّن يورّث المال، لأن الإجماع واقع على أنّ حال نبيّنا ﷺ لا يخالف حالَ الأنبياء المتقدّمين في ميراث المال، فمن مثبت للأمرين وناف للأمرين[1].

قلت: إنّ شيخنا أبا الحسين قال في كتاب **«الغُرَر»**: صورة الخبر الوارد في هذا الباب، وهو الّذي رواه أبو بكر: **«لا نُورَث»**، ولم يقل: **«نحن معاشرَ الأنبياء لا نورث»**، فلا يلزم من كون زكريّا يورّث الطعنُ في الخبر. وتصفّحت أنا كُتبَ الصِّحاح في الحديث فوجدتُ صيغة الخبر كما قاله أبو الحسين، وإن كان رسولُ ﷺ عَنَى نفسَه خاصّة بذلك؛ فقد سقط احتجاج الشّيعة بقصّة زكريا وغيره من الأنبياء، إلّا أ نّه يَبعدُ عندي أن يكون أراد نفسه خاصّة؛ لأ نّه لم تَجْرِ عادته أن يخبر عن نفسه في شيء بالنون.

فإن قلتَ: أيصحّ من المرتضى أن يوافق على أنّ صورة الخبر هكذا، ثم يحتجّ بقصّة زكريّا بأنْ يقول: إذا ثبت أنّ زكريا موروث، ثبت أنّ رسول الله ﷺ يجوز أن يكون موروثا، لإجماع الأ مّة على أن لا فرق بين الأنبياء كلّهم في هذا الحكم!

---

(١) انظر الشافي ٢٢٩.

قلت: وإن ثبت له هذا الإجماع صحّ احتجاجه، ولكن ثبوته يبعد، لأنّ من نفى كون زكريّا ﷺ موروثا من الأمّة إنّما نفاه لاعتقاده أنّ رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشرُ الإنبياء»، فإذا كان لم يقل هكذا، لم يقل: إنّ زكريّا ﷺ غير موروث.

قال المرتضى: وممّا يقوّى ما قدّمناه أنّ زكريّا ﷺ خاف بني عمّه، فطلب وارثا لأجل خوفه، ولا يليق خوفه منهم إلّا بالمال دون العلم والنبوّة، لأ نّه ﷺ كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيّا ليس بأهل للنبوّة، وأن يُورِّث علمَه وحكمَه من ليس أهلا لهما، ولأ نّه إنما بُعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الّذي هو الغرض في البعثة.

فإن قيل: هذا يرجع عليكم في الخوف عن إرث المال لأنّ ذلك غاية الضنّ والبخل.

قلنا: معاذَ الله أن يستويَ الحال، لأنّ المال قد يصحّ أن يَرزقُهَ الله تعالى المؤمن والكافرَ والعدوّ والوليّ، ولا يصحّ ذلك في النبوّة وعلومها. وليس من الضنّ أن يأسى على بني عمّه ـ وهم من أهل الفساد ـ أن يظفَروا بماله فينفقوه على المعاصي، ويصرفوه في غير وجوهه المحبوبة، بل ذلك غاية الحكمة وحسن التدبير في الدّين، لأنّ الدّين يحظر تقوية الفسّاق وإمدادَهم بما يُعينُهم على طرائقهم المذمومة، وما يَعدّ ذلك شحّا ولا بخلا إلّا من لا تأمّل له.

فإن قيل: أفلا جاز أن يكون خاف من بني عمّه أن يَرِثوا علمه، وهم من أهل الفساد على ما ادّعيتم فيستفسدوا به الناس، ويموّهوا به عليهم؟

قلنا: لا يخلو هذا العلم الّذي أشرتم من أن يكون هو كتب علمه وصحف حكمته لأنّ ذلك قد يسمّى علما على طريق المجاز، أو يكون هو العلم الّذي يحلّ القلب. فإن كان الأوّل فهو يرجع إلى معنى المال، ويصحّح أن الأنبياء يُوَرِّثون أموالهم وما في معناها، وإن كان الثاني لم يخلُ هذا من أن يكون هو العلم الّذي بُعِث النبيّ لنشره وأدائه، أو أن يكون علما مخصوصا لا يتعلّق بالشريعة، ولا يجب إطّلاع جميع الأمّة عليه، كعلم العواقب وما يَجري في مستقبل الأوقات، وما جرى

مَجرَى ذلك. والقسم الأوّل لا يجوز على النبيّ أن يخاف من وصوله إلى بني عمّه وهم من جملة أمّته الّذين بعث لإطلاعهم على ذلك، وتأديته إليهم، وكأنه على هذا الوجه يخاف ممّا هو الغرض من بعثته. والقسم الثاني فاسدٌ أيضاً، لأنّ هذا العلم المخصوصَ إنّما يستفاد من جهته، ويُوقف عليه بإطلاعه وإعلامه؛ وليس هو ممّا يجب نشرُه في جميع الناس، فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بعض الناس فسادا ألّا يلقيه إليه، فإنّ ذلك في يده، ولا يحتاج إلى أكثرَ من ذلك[1].

قلت: لعاكس أن يعكِس هذا على المرتضى رَحِمَهُ اللهُ حينئذ، ويقول له: وقد كان يجب إذا خاف من أن يرث بنو عمّه أمواله فينفقوها في الفساد أن يتصدّق بها على الفقراء والمساكين، فإنّ ذلك في يده، فيحصل له ثواب الصدقة، ويَحْصَل له غرضه من حرمان أولئك المفسدين ميراثه.

قال المرتضى رضي الله عنه: وممّا يدلّ على أنّ الأنبياء يورّثون قولُه تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2]، والظاهر من إطلاق لفظة «الميراث» يقتضي الأموال وما في معناها على ما دللنا به من قبل.

قال: ويدلّ على ذلك أيضاً قولُه تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[3] الآية، وقد أجمعت الأمّة على عموم هذه اللفظة إلّا من أخرجه الدليل، فيجب أن يتمسّك بعمومها، لمكان هذه الدّلالة، ولا يخرج عن حكمها إلّا من أخرجه دليل قاطع[4].

قلت: أمّا قولُه تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، فلظاهرها يقتضي وراثة النبوّة أو الملك أو العِلم الّذي قال في أوّل الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ...﴾ لا نّه لا معنى لذكر ميراث سليمانَ المالَ، فإنّ غيره من أولاد داود قد وَرِث أيضاً أباه داودَ؛

(١) انظر الشافي ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) سورة النمل ١٦.
(٣) سورة النساء ١١.
(٤) انظر الشافي ٢٢٩، ٢٣٠.

وفي كتب اليهود والنصارى أنَّ بني داود كانوا تسعة عشر، وقد قال بعض المسلمين أيضاً ذلك: فأيّ معنىً في تخصيص سليمانَ بالذكر إذا كان إرثَ المال! وأمّا: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾، فالبحث في تخصيص ذلك بالخبر فرع من فروع مسألة خبر الواحد؛ هل هو حجّة في الشرعيّات أم لا! فإن ثبت مذهب المرتضى في كونه ليس بحجّة فكلامه هنا جيّد، وإن لم يثبت فلا مانعَ من تخصيص العموم بالخبر، فإنّ الصحابة قد خصّصتْ عمومات الكتاب بالأخبار في مواضع كثيرة.

قال المرتضى: وأمّا تعلّق صاحب الكتاب بالخبر الّذي رواه أبو بكر وادعاؤه أنّه استشهد عمر وعثمان وفلانا وفلانا، فأوّل ما فيه أن الّذي ادّعاه من الاستشهاد غير معروف، والّذي رُوِي أنّ عمر استشهد هؤلاء النفر لمّا تنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس رضي الله عنه في الميراث، فشَهِدوا بالخبر المتضمّن لنفي الميراث، وإنّما مقول مخالفينا في صحّة الخبر الّذي رواه أبو بكر عند مطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث على إمساك الأمّة عن النكير عليه، والرّد لقضيّته[1].

قلت: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال، أمّا عَقِيب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث، فلم يروِ الخبر إلّا أبو بكر وحدَه. وقيل: إنه رواه معه مالكُ بن أوْس بن الحدَثَان؛ وأمّا المهاجرون الّذين ذكرهم قاضي القضاة فإنّما شهدوا بالخبر في خلافة عمر؛ وقد تقدّم ذكُر ذلك.

قال المرتضى: ثم لو سلّمنا استشهاد مَنْ ذَكر على الخبر لم يكن فيه حجّة، لأنّ الخبر على كلّ حال لا يخرج من أن يكون غيرَ موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجرى هذا المجرَى، لأنّ المعلوم لا يُخَصّ إلّا بمعلوم، وإذا كانت دلالة الظاهر معلومة، لم يجز أنْ يخرَج عنها بأمر مظنون.

قال: وهذا الكلام مبنيٌّ على أنّ التخصيص للكتاب والسنّة المقطوع بها لا يقع بأخبار الآحاد، وهو المذهب الصحيح. وقد أشرنا إلى ما يمكن ان يُعتَمد في الدلالة

(١) انظر الشافي ٢٣٠.

عليه من أن الظّنّ لا يقابل العلم، ولا يرجَع عن المعلوم بالمظنون. قال: وليس لهم أن يقولوا: إنّ التخصيص بأخبار الآحاد يستند أيضاً إلى عِلم، وإن كان الطريق مظنونا، ويشيروا إلى ما يدّعونه من الدّلالة على وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة، وأنّه حجّة، لأنّ ذلك مبنيّ من قولهم على مالا نسلّمه، وقد دلّ الدليلُ على فساده ـ أعني قولهم: خبر الواحد حجّة في الشرع ـ على أنّهم لو سلّم لهم ذلك لاحتاجوا إلى دليل مستأنَف على أنّه يقبل في تخصيص القرآن؛ لأنّ ما دلّ على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع، كما لا يتناول جواز النّسخ به[1].

قلت: أمّا قولُ المرتضى: لو سلّمنا أنّ هؤلاء المهاجرين الستّة روَوْه لما خرج عن كونه خبرا واحدا، ولما جاز أن يرجع عن عموم الكتاب به، لأنّه معلوم، والخبر مظنون.

ولقائل أن يقول: ليته حصل في كلّ واحد من آيات القرآن رواية مثل هذه الستّة، حيث جمع القرآن على عهد عثمان ومن قبله من الخلفاء، فإنهم بدون هذا العدد كانوا يعملون في إثبات الآية في المصحف، بل كانوا يحلّفون من أتاهم بالآية. ومَنْ نظر في كتب التواريخ عَرَف ذلك، فإن كان هذا العدد إنّما يفيد الظنّ فالقولُ في آيات الكتاب كذلك، وإن كانت آيات الكتاب أُثبِتتْ عن علم مستفاد من رواية هذا العدد، ونحوه، فالخبر مثل ذلك.

فأمّا مذهب المرتضى في خبر الواحد فإنّه قولٌ انفَرد به عن سائر الشّيعة، لأنّ من قبله من فقهائهم ما عوّلوا في الفقه إلّا على أخبار الآحاد كزُرارة، ويونس، وأبي بصير، وابنى بابويه والحلبى، وأبي جعفر القُمّى وغيرهم، ثم مَنْ كان في عصر المرتضى منهم كأبي جعفر الطُّوسى وغيره، وقد تكلّمت في «اعتبار الذريعة» على ما اعتمد عليه في هذه المسألة، وأمّا تخصيص الكتاب بخبر الواحد فالظاهر أنّه إذا صحّ كون خبر الواحد حجّة في الشرع، جاز تخصيصُ الكتاب به، وهذا من فنّ أصول الفقه، فلا معنى لذكرِه هنا.

---

(١) انظر الشافي ٢٣٠.

قال المرتضى ﷺ: وهذا يُسقِط قولَ صاحب الكتاب: إنّ شاهدَيْن لو شهدا أنّ في التّركة حقًا لكان يجب أن ينصرف عن الإرْث، وذلك لأنّ الشهادة وإن كانت مظنونةً فالعمل بها يستند إلى عِلم، لأنَّ الشريعة قد قرّرت العمَل بالشهادة ولم تقرّر العمَل بخبر الواحد، وليس له أن يقيس خبر الواحد على الشهادة من حيث اجتمعا في غَلَبة الظّن، لأنّا لا نعمل على الشهادة من حيث غلَبة الظنّ دون ما ذكرناه من تقرير الشريعة العمل بها؛ ألا تَرَى أنّا قد نظنّ بصدق الفاسق والمرأة والصبيّ وكثير ممّن لا يجوز العمل بقوله! فبان أنّ المعوّل في هذا على المصلحة الّتي نستفيدها على طر يق الجملة من دليل الشرع.

قال: وأبو بكر في حُكْم المدّعى لنفسه والجارّ إليها بخلاف ما ظنّه صاحب الكتاب، وكذلك من شهد له إن كانت هناك شهادة، وذلك أنَّ أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول ﷺ يحلّ لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا فيها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة.

قال: وليس له أن يقول: فهذا يقتضي ألّا يقبل شهادة شاهدَين في تَركة فيها صَدقة. لمثل ما ذكرتم.

قال: وذلك لأنّ الشاهدين إذا شهدا في الصّدقة فحَظهما منها كحظّ صاحب الميراث بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرّسول؛ لأنّ كونها صدقة يحرّمها على وَرَثته، ويبيحُها لسائر المسلمين[1].

قلت: هذا فرق غير مؤثر، اللّهمّ إلّا أن يعني به تهمةَ أبي بكر والشهود الستّة في جرّ النفع إلى أنفسهم يكون أكثر من تهمتهم لو شَهِدوا على أبي هُرَيرة مَثَلا أنّ ما تركه صدقة؛ لأنَّ أهلَ أبي هريرة يشاركون في القسمة، وأهلَ النبيّ ﷺ لا يشاركون الشهود فيما يصيبهم، إذ هم لا تحلّ لهم الصدقة، فتكون حصَّة أبي بكر والشهود ممَّا تركه رسول الله أكثرَ من حصَّتهم ممَّا يتركه أبو هريرة، فيكون تطرّق التهمة إلى أبي

(١) انظر الشافي ٢٣٠.

بكر والشهود أكثر حسبَ زيادة حصَّتهم؛ وما وقفت للمرتضى على شيء أطرَفَ من هذا، لأنّ رسولَ الله ﷺ مات والمسلمون أكثر من خمسين ألف إنسان، لأ نَّه قادَ في غَزاةِ تَبوك عشرين ألفا، ثم وفدتْ إليه الوفود كلّها بعد ذلك، فليت شِعرى كم مقدار ما يتوفَّر على أبي بكر وستَّة نفر، وهم من جملة خمسين ألفاً، بين ما إذا كان بنو هاشم وبنو المطّلب ـ وهم حينئذ عشرة نفر، ـ لا يأخذون حصّة، وبيْن ما إذا كانوا يأخذون! أترى أيكون المتوفّر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم! ما أظنّ أنه يبلغ ذلك. وكم مقدار ما يقلل حصص الشهود على أبي هريرة إذا شركهم أهله في التركة، لتكونَ هذه القِلّة موجبةً رفع التهمة، وتلك الزيادة والكثرة موجبة حصولَ التهمة! وهذا الكلام لا أرتضيه للمرتضى.

قال المرتضى ﷺ: وأمّا قوله: يخصّ القران بالخبر كما خصصناه في العبد والقاتل، فليس بشيء، لأ نّا إنما خصصنا مَنْ ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم، وليس هذا موجودا في الخبر الّذي ادّعاه. فأمّا قوله: وليس ذلك ينقص الأنبياء، بل هو إجلال لهم، فمن الّذي قال له: إنّ فيه نقصا! وكما أ نّه لا نقص فيه، فلا إجلالَ فيه ولا فضيلةَ؛ لأنّ الداعي وإن كان قد يقوّى على جمع المال ليخلف على الورثة، فقد يقوّيه أيضاً إرادة صرفه في وجوه الخير والبرّ، وكلا الأمرين يكون داعيا إلى تحصيل المال، بل الداعي الّذي ذكرناه أقوى فيما يتعلّق بالدِّين.

قال: وأمّا قوله: إنّ فاطمة لمّا سمعتْ ذلك كفّت عن الطلب، فأصابت أوّلا وأصابت ثانيا؛ فلَعَمرى إنها كفّت عن المنازعة والمشاحّة، لكنها انصرفت مغضَبة متظلّمة متألّمة؛ والأمر في غضبها وسخطها أظهرُ من أن يخفى على مُنصِف، فقد رَوَى أكثرُ الرواة الّذين لا يُتّهمون بتشيّع ولا عصبيّة فيه من كلامها في تلك الحال، وبعد انصرافها عن مقام المنازَعة والمطالبة، ما يدلّ على ما ذكرناه من سخطها وغضبها.

أخبَرَنا أبو عُبيد الله محمّد بن عمران المَرْزُبانيّ قال: حدّثني محمّد بن أحمدَ الكاتب، قال: حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصِح النحويّ، قال: حدّثني الزّياديّ، قال:

حدّثنا الشّرْقي ابن القُطاميّ، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما بلغ فاطمةَ إجماعُ أبي بكر على منعِها فَدَكَ لاثتْ خِمارَها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلتْ في لُمَّة من حَفَدَتها . . .

قال المرتضى: وأخبرنا المرزبانيّ قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكي قال: حدّثنا أبو العيناء بن القاسم اليمانيّ قال: حدّثنا ابن عائشة، قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ أقبلتْ فاطمة إلى أبي بكر في لُمَّة من حَفَدتها. ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا . . . ونساء قومها تطأ ذُيولها ما تخرم مِشيتُها مِشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنِيطت[1] دونهَا مُلاءة، ثم أنَّت أنَّةً أجْهش لها القومُ بالبكاء، وارتجَّ المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نَشيجُ القوم وهدأت فَوْرَتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عزّ وجلّ والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم قالت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فإن تعزُوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبَلغ الرسالة صادعا بالنذارة، مائلا عن سَنَن المشركين، ضاربا ثَبَجهم، يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بأكظام المشركين؛ يهشم الأصنام، ويفلّق الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدُّبُر، وحتّى تفرّى الليلُ عن صُبْحِه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدّين، وخرست شقاشق الشياطين، وتمّت كلمةُ الإخلاص، وكنتم على شَفَا حفرة من النار، نُهزة الطامع، ومذْقَة الشارب، وقبسة العجلان، وموطأ الأقدام، تشربون الطَّرْق، وتقتاتون القِدّ؛ أذلّة خاسئين، يختطفكم الناس من حولكم، حتّى أنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مُنِي بهم الرجال وذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب، و﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[3]، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة قذف أخاه في لهواتها. ولا ينكفئ حتى يطأ صِماخها بإخمصه ويطفئ عادية

---

(١) نيطت: أي وصلت وعلقت.

(٢) سورة التوبة ١٢٨.

(٣) سورة المائدة ٦٤.

لَهَبها بسيفه ـ أو قالت: يخمد لهبها بحدّه ـ مكدودا في ذات الله، وأنتم في رفاهية فَكِهُون آمنون وادِعون.

إلى هنا انتهى خبرُ أبي العيناء عن ابن عائشة. وأما عروة عن عائشة، فزاد بعد هذا: حتّى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرتْ حسيكةُ النفاق، وشمل جلباب الدّين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهَدَر فنيق المُبطلين، فخطر في عَرَصاتِكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين؛ ولقربه متلاحظين. ثم استنهَضَكم فوجدكم خِفافا، وأحْمشكم فألفاكم غِضابا، فوَسَمتم غيرَ إبلكم، ووَرَدتُم غيرَ شِربكم، هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب والجرح لمّا يندمل، إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، فهيهات! وَأنّى وبكم واضحة. تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره بيّنة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة. أرغبةً عنه تريدون، أم لغيره تحكمون؛ بئس للظالمين بدلا! ومن يتبع غيرَ الإسلام ديناً فلنْ يُقْبل مِنْهُ وهو في الآخرةِ منَ الخاسرين. ثم لم تلبثوا إلّا رَيث أن تسكن نَفْرتها، تُسرون حَسْواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المُدَى، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]. يابن أبي قُحافة، أترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فَريّا! فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشْرِك، فنعم الحكم الله، والزعيمُ، محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون! ثم انكفأتْ إلى قبر أبيها ﷺ، فقالت:

قد كان بعدَكَ أنباءٌ وهنبثةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخُطَبُ

إذا فقدناك فقد الأرض وابِلَها ... و اختل قومُك فاشهدهم ولا تَغِبِ

وَروَى حرميّ بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

فليتَ بعدَك كان الموت صَادَفنا ... لما قضيت وحالت دونَكَ الكُثُبُ

---

(١) سورة التوبة ٤٩.

(٢) سورة المائدة ٥٠.

قال: فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ﷺ وقال: يا خَيْرَ النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوتُ رأى رسول الله ﷺ، ولا عملتُ إلّا بإذنه، وإن الرائدَ لا يكذِب أهله، وإني أشهد الله وكفى بالله شهيداً؛ أني سمعتُ رسول الله يقول: «**إنّا معاشر الأنبياء لا نورِث ذهبا، ولا فضة ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورِث الكتاب والحِكمة والعلم والنبوّة**».

قال: فلما وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كُلم في ردّ فَدَك، فقال: إنّي لأستحي من الله أن أردّ شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر[1].

قال المرتضى: وأخبرنا أبو عبد الله المَرْزُبَانيّ: قال: حدثني عليّ بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه قال: ذكرتُ لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدَكَ، وقلت له: إنَّ هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء، لأنَّ الكلام منسوق البلاغة، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أولادهم، وقد حدّثني به أبي عن جدّي يَبْلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشّيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء، وقد حدّث الحسين بن علوان، عن عطية العوفيّ، أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام.

ثم قال أبو الحسن زيد: وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهلَ البيت. ثم ذكر الحديث بطُوله على نسقه، وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين:

ضاقتْ عليّ بلادي بعد ما رحُبتْ ... و سِمَ سِبْطاكَ خسفا فيه لي نَصَبُ

فليت قبلَك كان الموتُ صادَفنا ... قومٌ تمنّوا فأعطُوا كلّ ما طلبوا

تجهّمَتْنا رجالٌ واستُخفّ بنا ... مذغبت عنّا وكلّ الإرث قد غصبوا

---

(١) انظر الشافي ٢٣٠.

قال: فما رأينا يوماً أكثرَ باكيا أو باكية من ذلك اليوم.

قال المرتضى: وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طُرُق مختلفة، ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخَذَها من مواضعها، فكيف يدّعى أنّها ﷺ كفّت راضية، وأمسكت قانعة، لولا البُهْت وقلّة الحياء[1]!

قلت: ليس في هذا الخبر ما يدلّ على فساد ما ادّعاه قاضي القضاة، لأنه ادّعى أنّها نازعت وخاصمت ثم كفّت لما سمعت الرواية وانصرفتْ، تاركة للنزاع، راضية بموجب الخبر المرويّ. وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدلّ إلّا على سخطها حالَ حضورها، ولا يدلُّ على أنها بعد رواية الخبر وبعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنه ما روَى عن رسول الله ﷺ إلّا ما سمعه منه، انصرفت ساخطة؛ ولا في الحديث المذكور والكلام المرويّ ما يدلّ على ذلك، ولست أعتقد أنها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة، بل أعلم أنّها انصرفتْ ساخطة، وماتت وهي على أبي بكر واجِدة، ولكن لا من هذا الخبر، بل من أخبار أُخَر، كان الأولى بالمرتضى أن يحتجّ بها على ما يرويه في انصرافها ساخطةً، وموتها على ذلك السخط، وأمّا هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدلّ على هذا المطلوب.

قال المرتضى رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمّا قوله: إنه يجوز أن يبيّن ﷺ أنّه لا حقّ لميراثه في ورثته لغير الورثة، ولا يمتنع أن يرد من جهة الآحاد، لأنّه من باب العمل، وكلّ هذا بناء منه على أصوله الفاسدة في أنّ خبر الواحد حجّة في الشرع، وأنّ العمل به واجب، ودون صحّة ذلك خَرْط القَتاد؛ وإنما يجوز أن يبيّن من جهة أخرى إذا تساوَيَا في الحجّة ووقوع العمل، فأمّا مع تباينهما فلا يجوز التخيير فيهما، وإذا كان ورَثَةُ النبيّ ﷺ متعبّدين بألّا يرثوه، فلابدّ من إزاحة عِلّتهم في هذه العبادة بأن يوقفهم على الحكم، ويُشافِهَهم به، ويلقيه إلى مَنْ يقيم الحجّة عليهم بنقله، وكلّ ذلك لم يكن.

فأمّا قوله: أتجوّزون صِدقَه في الرواية أم لا تجوزون ذلك؟ فالجواب إنا لا نجوّزه، لأنَّ كتاب الله أصدَقُ منه، وهو يدفع روايته ويُبطلُها؛ فأمّا اعتراضه على قولنا: إنّ إطلاق الميراث لا يكون إلّا في الأموال بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ

(١) انظر الشافي ٢٣١.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]. وقولهم: ما ورثت الأبناء من الآباء شيئاً أفضلَ من أدب حسن، وقولهم: العلماء ورثة الأنبياء، فعجيب، لأنّ كل ما ذكر مقيّد غير مطلق، وإنّما قلنا إنّ مطلق لفظ الميراث من غير قرينة ولا تقييد يفيد بظاهره ميراثَ الأموال، فبعد ما ذكره وعارض به لا يخفى على متأمّل.

فأما استدلالُه على أنّ سليمان وَرث داودَ علمه دون ماله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[2] وأن المراد أنّه وَرِث العلمَ والفضلَ، وإلّا لم يكن لهذا القول تعلّق بالأوّل، فليس بشيء يعوّل عليه، لأنّه لا يمتنع أن يريدَ به أنه ورِث المالَ بالظاهر والعلم بهذا المعنى من الاستدلال، فليس يجب إذا دلّت الدّلالة في بعض الألفاظ على معنى المجاز أن يَقتصِر بها عليه، بل يجب أن يَحمِلها على الحقيقة الّتي هي الأصل إذا لم يَمنعْ من ذلك مانع؛ على أنّه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصّة، ثم يقول مع ذلك: «إِنَّا عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ»، ويشير بـ «الفضل المبين» إلى العِلم والمال جميعا، فله بالأمرين جميعا فضلٌ على من لم يكن عليهما؛ وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحتمل المالَ كما يحتمل العلم، فليس بخالص ما ظنّه.

فأمّا قوله في قصّة زكريّا: إنّه خاف على العلم أن يندرس، لأنّ الأنبياء وإن كانو لا يَحرِصون على الأموال، وإنّما خاف أن يضيع العلم، فسأل الله تعالى وليّا يقوم بالدّين مقامَه؛ فقد بيّنا أنّ الأنبياء وإن كانوا لا يَحرِصون على الأموال ولا يَبخَلون بها، فإنّهم يجتهدون في منع المفسدين من الانتفاع بها على الفساد، ولا يعدّ ذلك بخلاً ولا جِرْصا، بل فضلا ودِينا؛ وليس يجوز من زكريّا أن يخاف على العِلْم الاندراسَ والضياعَ، لأنّه يعلم أنّ حكمة الله تعالى تقتضي حِفظَ العلم الّذي هو الحجّة على العباد، وبه تتزاح عِللهم في مصالحهم، فكيف يخاف مالا يخاف من مثله!

فإن قيل: فهبوا أنّ الأمر كما ذكرتم من أنّ زكريّا كان يأمن على العلم أن يندرِس؛ أليس لابدّ أن يكون مجوّزا أن يحفظه الله تعالى بمَنْ هو من أهله وأقاربه،

(١) سورة فاطر ٣٢.
(٢) سورة النمل ١٦.

كما يجوز حفظُه بغريب أجنبيّ! فما أنكرتم أن يكون خوفُه إنّما كان من بني عمّه ألّا يتعلّموا العلم ولا يقوموا فيه مقامه، فسأل الله ولدا يَجمع فيه هذه العلومَ حتّى لا يخرج العلمُ عن بيته، ويتعدّى إلى غير قومه، فيَلحقَه بذلك وَصْمة!

قلنا: أمّا إذا رتّب السؤال هذا الترتيب، فالجواب عنه ما أجبنا به صاحبَ الكتاب، وهو أنّ الخوف الّذي أشاروا إليه ليس من ضرر دينيّ، وإنّما هو من ضرر دُنْياويّ، والأنبياء إنّما بُعثوا لتحمُّل المضارّ الدنياوية، ومنازلهم في الثواب إنّما زادت على كلّ المنازل لهذا الوجه، ومَنْ كانت حاله هذه الحال، فالظاهر من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه أن يكون محمولا على مضارّ الدّين، لأنّها هي جهة خوفهم، والغرض في بعثهم تحمّل ما سواها من المضارّ، فإذا قال النبيّ صلّى الله عليه: «**أنا خائف**»، فلم يُعلم جهةُ خوفه على التفصيل، يجب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مضارّ الدّين دون الدنيا، لأنّ أحوالهم وبعثهم يقتضي ذلك، فإذا كنّا لو اعتدْنا من بعضنا الزّهد في الدنيا وأسبابها، والتعفّف عن منافعها، والرغبة في الآخرة، والتفرّد بالعمل لها، لكنّا نحمل على ما يظهر لنا من خوفه الّذي لا يعلم وجهه بعينه على ما هو أشبه وأليَقُ بحاله، ونضيفه إلى الآخرة دون الدّنيا، وإذا كان هذا واجباً فيمن ذكرناه فهو في الأنبياء ﷺ أوْجَب[1].

قلت: ينبغي ألّا يقول المعترض: فيلحقه بذلك وصْمَة، فيجعل الخوف من هذه الوصمة، بل يقول: إنّه خاف ألّا يُفْلح بنو عمّه ولا يتعلّموا العلم، لما رأى من الأمارات الدالّة على ذلك، فالخوف على هذا الترتيب يتعلّق بأمر دينيّ لا دنيويّ، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يَرِث عنه علمَه، أي يكون عالما بالدّينيات كما أنا عالم بها. وهذا السؤال متعلّق بأمر دينيّ لا دنيويّ. وعلى هذا يندفع ما ذكره المرتضى؛ على أ نّه لا يجوز إطلاقُ القول بأنّ الأنبياء بُعثوا لتحمّل المضارّ الدنياوّية، ولا القول: الغرض في بعثتهم تحمّل ما سوى المضارّ الدينية من المضارّ؛ فإنّهم ما بعثوا لذلك، ولا الغرض في بعثتهم ذلك، وإنّما بعثوا لأمر آخر. وقد تحصل المضارّ في أداء الشرع

(١) انظر الشافي ٢٣٢.

ضِمْناً وتبعاً، لا على أنّها الغرض، ولا داخلة في الغرض، وعلى أنّ قول المرتضى: لا يجوز أن يخاف زكريّا من تبديل الدّين وتغييره، لأ نّه محفوظ من الله، فكيف يخاف مالا يُخاف من مثله؛ غير مستمرّ على أصوله! لأنّ المكلّفين الآن قد حُرِموا بغيبة الإمام عنده ألطافا كثيرة الوصلة بالشرعيّات كالحدود وصلاة الجمعة والأعياد، وهو وأصحابُه يقولون في ذلك إنّ اللّوم على المكلّفين؛ لأنّهم قد حرمَوا أنفسهم اللّطف، فهلّا جاز أنْ يخاف زكريّا من تبديل الدين وتغييره، وإفساد الأحكام الشرعية! لأ نّه إنّما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول إلى المكلّفين فإذا أفسدوا هم الأديان وبدّلوها لم يجب عليه أن يحفظها عليهم، لأنّهم الّذين حَرَموا أنفسَهم اللّطف.

وأعلم أنّه قد قرئ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾[1]؛ وقيل: إنّها قراءة زين العابدين وابنه محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام وعثمان بن عفّان. وفَسروه على وجهين:

أحدهما أن يكون «ورائي» بمعنى خَلْفي وبعدي، أي قلّت الموالي وعَجَزوا عن إقامة الدين، تقول: قد خفّ بنو فلان، أيْ قلّ عددُهم، فسأل زكريّا ربّه تقويتَهم ومظاهرتَهم بوليّ يرزقه.

وثانيهما أن يكون «ورائي» بمعنى قدّامي، أي خَفّ الموالي وأنا حيّ ودَرَجوا وانقرضوا، ولم يَبْقَ منهم من به اعتضاد؛ وعلى هذه القراءة لا يبقى متعلّق بلفظة الخوف.

وقد فسّر قوم قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾، أي خفتُ الّذين يلُون الأمر من بعدي، لأنّ المولَى يستعمل في الوالي، وجمعه موال، أي خفت أن يليَ بعد موتي أمراء ورؤساء يُفسِدون شيئاً من الدّين، فارزقني ولداً تُنعِم عليه النبوّة والعلم، كما أنعمت عليّ، واجعل الدّين محفوظا [به] ؛ وهذا التأويل غير منكَر، وفيه أيضاً دفعٌ لكلام المرتضى.

قال المرتضى: وأمّا تعلّق صاحب الكتاب في أنّ الميراث محمول على العلم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١: ٧٧.

بقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1]؛ لأنّه لا يرث أموالَ آل يعقوب في الحقيقة وإنّما يرث ذلك غيرُه، فبعيد من الصواب؛ لأنّ ولد زكريّا يرث بالقرابة من آل يعقوب أموالَهم، على أنّه لم يقل: «يرث آل يعقوب»، بل قال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، تنبيهاً بذلك على أنّه يرث من كان أحقّ بميراثه في القرابة. فأمّا طعنُه على مَنْ تأوّل الخبر بأنه ﷺ لا يُورَث، ما تركه للصدقة بقوله: إنّ أحداً من الصَّحابة لم يتأوّله على هذا الوجه، فهذا التأويل الّذي ذكرناه أحدُ ما قاله أصحابُنا في هذا الخبر، فمن أين له إجماعُ الصحابة على خلافه! وإنّ أحداً لم يتأوّله على هذا الوجه.

فإن قال: لو كان ذلك لظهر واشتهر، ولَوَقف أبو بكر عليه، فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقة على هذا المعنى ما فيه كفاية. قلت: لم يكن ذلك اليوم ـ أعني يومَ حضور فاطمةَ ﷺ، وقولها لأبي بكر ما قالت ـ يوم تقيّة وخوف، وكيف يكون يومَ تقيّه وهي تقول له ـ وهو الخليفة: يا بن أبي قُحافة، أترثُ ولا أرِث أبي! وتقول له أيضاً: لقد جئتَ شيئاً فَرِيّا! فكان ينبغي إذا لم يُؤثر أمير المؤمنين ﷺ أن يفسِّر لأبي بكر معنى الخبر أن يُعلِم فاطمة ﷺ تفسيره، فتقول لأبي بكر: أنت غالط فيما ظننت، إنما قال أبي: ما تركناه صدقة، فإنّه لا يُورَث.

واعلم أنّ هذا التأويل كاد يكون مدفوعا بالضرورة، لأنّ مَنْ نظر في الأحاديث الّتي ذكرناها وما جرت عليه الحال يعلم بطلانه علما قطعيّا. قال المرتضى: وقوله إنّه لا يكون إذ ذلك تخصيصٌ للأنبياء ولا مزيّة: ليس بصحيح، وقد قيل في الجواب عن هذا: إنّ النبيّ ﷺ يجوز أن يريد أنّ ما ننوى فيه الصدقة، ونفرده لها من غير أن نخرجه عن أيدينا لا تناله ورثتنا. وهذا تخصيص للأنبياء ومزيّة ظاهرة[2].

قلت: هذه مخالفة لظاهر الكلام وإحالة اللّفظ عن وضعه، وبين قوله: ما ننوى فيه الصدقة، وهو بعدُ في ملكنا ليس بموروث؛ وقوله: ما نخلّفه صدقة ليس بموروث فَرْق عظيم، فلا يجوز أن يُراد أحد المعنيين باللّفظ المفيد للمعنى الآخر، لأ نّه إلباسٌ

(١) سورة مريم ٦.
(٢) انظر الشافي ٢٣٢.

وتَعْمِية. وأيضاً، فإنّ العلماء ذكروا خصائصَ الرّسول في الشرعيّات عن أمّته وعدّدوها، نحو حِلّ الزيادة في النكاح على أربع، ونحو النكاح بلفظ الهبة على قولٍ فِرْقة من المسلمين، ونحو تحريم أكل البَصل والثّوم عليه، وإباحة شرب دمه، وغير ذلك، ولم يذكروا في خصائصه أنّه إذا كان قد نوى أن يتصدّق بشيء فإنّه لا يناله ورثته، لو قدّرنا أنّه يورث الأموال، ولا الشيعة قبل المرتضى ذكرتْ ذلك، ولا رأينا في كتاب من كتبهم، وهو مسبوق بإجماع طائفته عليه، وإجماعهم عندهم حجّة. قال المرتضى: فأمّا قوله: إن قوله ﷺ: ما تركناه صدقة، جملةٌ من الكلام مستقلّة بنفسها، فصحيح إذا كانت لفظة «ما» مرفوعةً على الإبتداء، ولم تكن منصوبةً بوقوع الفعل عليها، وكانت لفظة «صدقة» أيضاً مرفوعة غير منصوبة، وفي هذا وقع النّزاع، فكيف يدّعى أنّها جملة مستقلّة بنفسها! وأقوَى ما يمكن أن نذكره أن نقول: الرواية جاءت بلفظ «صدقةٌ» بالرفع، وعلى ما تأوّلتموه لا تكون إلّا منصوبةً، والجواب عن ذلك أنّا لا نسلّم الرواية بالرفع، ولم تجر عادة الرّواة بضبط ما جرى هذا المجرَى من الإعراب، والاشتباه يقع في مثله، فمن حقّق منهم وصرّح بالرواية بالرفع يجوز أن يكون اشتبه عليه فظنّها مرفوعةً، وهي منصوبة[1].

قلت: وهذا أيضاً خلاف الظاهر، وفتح الباب فيه يؤدّى إلى إفساد الاحتجاج بكثير من الأخبار.

قال: وأما حكايته عن أبي عليّ أنّ أبا بكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين ﷺ السّيف والبغلة والعمامة على جهة الإرث؛ وقوله: كيف يجوز ذلك مع الخبر الّذي رواه! وكيف خصّصه بذلك دون العمّ الّذي هو العصبَة! فما نراه زاد على التعجّب، ومما عجب منه عجِبْنا، ولم يثبت عصمة أبي بكر فينتفى عن أفعاله التناقض.

قلت: لا يشكّ أحد في أن أبا بكر كان عاقلا، وإن شكّ قوم في ذلك فالعاقل في يوم واحد لا يدفع فاطمةَ ﷺ عن الإرْث ويقول: إنّ أباكِ قال لي: إنني لا أورّث ثم يورّث في ذلك اليوم شخصا آخر من مال ذلك المتوفّى الّذي حكى عنه أنه لا

(١) انظر الشافي ٢٣٢.

يورث وليس انتفاء هذا التناقض عن أفعاله موقوفا على العِصمة، بل على العقل.

قال المرتضى: وقوله يجوز أن يكون النبيّ ﷺ نَحَله إيّاه وتركه أبو بكر في يده ـ لِمَا في ذلك من تقوية الدّين ـ وتصدّق ببدله؛ وكلّ ما ذكره جائز، إلّا أنه قد كان يجب أن يظهر أسباب النّحلة والشهادة بها، والحجّة عليها، ولم يظهر من ذلك شيء فنعرفه، ومن العجائب أن تدّعى فاطمة فَدَك نِحلةً، وتستشهد على قولها أميرَ المؤمنين ﷺ وغيرَه، فلا يُصغَى إلى قولها، ويترك السيف والبغلةَ والعمامة في يد أمير المؤمنين على سبيل النُّحلة بغير بيّنة ظهرتْ، ولا شهادة قامت[1]!

قلت: لعلّ أبا بكر سمع الرّسول ﷺ وهو ينحَلُ ذلك عليّا ﷺ، فلذلك لم يحتجْ إلى البيّنة والشّهادة، فقد روى أنّه أعطاه خاتَمه وسيفَه في مرضه وأبو بكر حاضر، وأمّا البغلة فقد كان نحَلَه إيّاها في حجّة الوداع على ما وردتْ به الرواية؛ وأما العمامة فسلَب الميّت، وكذلك القميص والخُفّين والحذاء، فالعادة أن يأخذ ذلك ولد الميّت؛ ولا يُنازَع فيه لأنّه خارج، أو كالخارج عن التركة، فلمّا غُسِلَ ﷺ أخذت ابنتُه ثيابَه الّتي مات فيها، وهذه عادة الناس، على أنّا قد ذكرنا في الفصل الأوّل كيف دفع إليه آلةَ النبيّ ﷺ وحذاءَه ودابّته، والظّاهر أنّه فعل ذلك اجتهادا لمصلحة رآها؛ وللإمام أن يفعل ذلك.

قال المرتضى: على أنه كان يجب على أبي بكر أن يبيّن ذلك، ويذكر وجهه بعينه، لمّا نازع العبّاس فيه، فلا وقت لذكر الوجه في ذلك أولى من هذا الوقت[2]. قلت: لم ينازع العبّاس في أيّام أبي بكر، لا في البغلة والعمامة ونحوها، ولا في غير ذلك، وإنّما نازع عليّا في أيّام عمر، وقد ذكرنا كيفيّة المنازعة، وفيماذا كانت.

قال المرتضى ﷺ في البُردة والقضيب: إن كان نحلةً، أو على الوجه الآخر، يَجرِي مَجرَى ما ذكرناه في وجوبِ الظهور والاستشهاد، ولسنا نرى أصحابنا ـ يعني المعتزلة ـ يطالبون نفسَهم في هذه المواضع بما يطالبوننا بمِثله إذا ادّعينا وجوهاً

(١) انظر الشافي ٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) انظر الشافي ٢٣٣.

وأسبابا وعِلَلا مجوّزة، لأنّهم لا يقنعون منّا بما يجوز ويمكن؛ بل يوجبون فيما ندّعيه الظهورَ والاستشهاد، وإذا كان هذا عليهم نسُوه أو تناسوه[1]. قلت: أمّا القضيب فهو السيف الّذي نَحَله رسولُ الله ﷺ عليّا ﷺ في مرضه، وليس بذى الفَقار، بل هو سيفٌ آخر؛ وأمّا البُردة فإنّه وهبها كعبَ بن زهير، ثم صار هذا السيف وهذه البُرْدة إلى الخلفاة، بعد تنقّلات كثيرة مذكورة في كتب التواريخ.

قال المرتضى: فأمّا قوله: فإنّ أزواج النبيّ ﷺ إنّما طلبنَ الميراث لأنّهنّ لم يعرفنَ روايةَ أبي بكر للخبر، وكذلك إنّما نازع عليّ ﷺ بعدَ موت فاطمة ﷺ في الميراث لهذا الوجه، فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وأبعده عن الصواب! وكيف لا يعرف أمير المؤمنين ﷺ رواية أبي بكر وبها دُفعت زوجته عن الميراث وهل مِثلُ ذلك المقام الّذي قامته، وما رواه أبو بكر في دفعها يخفى على من هو في أقاصى البلاد، فضلا عمّن هو في المدينة حاضر شاهد يُراعِي الأخبار، ويعني بها! إنّ هذا لخروج في المكابرَة عن الحدّ! وكيف يخفَى على الأزواج ذلك حتّى يطلبنه مرّة بعد أخرى، ويكون عثمان الرسول لهنّ، والمطالب عنهنّ، وعثمان على زعمهم أحدُ من شهد أنّ النبيّ ﷺ لا يُورّث؛ وقد سمعنَ على كلّ حال أنّ بنت النبيّ ﷺ لم تورّث ماله ولابدّ أنْ يكنّ قد سألنَ عن السبب في دفعها، فذكر لهنّ الخبر، فكيف يقال: إنّهن لم يعرفنه[2]!

قلت: الصحيح أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم ينازع بعد موت فاطمةَ في الميراث، وإنما نازع في الولاية لِفَدك وغيرِها من صدقات رسولِ الله ﷺ، وجرى بينه وبين العبّاس في ذلك ما هو مشهور، وأمّا أزواجُ النبيّ ﷺ فما ثبت أنّهنّ نازعن في ميراثه، ولا أنّ عثمانَ كان المرسَل لهنّ، والمطالب عنهنّ، إلّا في رواية شاذّة، والأزواج لمّا عرفن أنّ فاطمة ﷺ قد دُفِعتْ عن الميراث أمسَكْن، ولم يكنّ قد نازعن، وإنّما اكتفَيْن بغيرهنّ، وحديث فَدَك وحضور فاطمةَ عند أبيبكر كان بعد عشرة

(١) انظر الشافي ٢٣٣.

(٢) انظر الشافي ص ٢٣٣.

أيّام من وفاة رسول الله ﷺ، والصحيح أنّه لم ينطق أحدٌ بعد ذلك من النّاس من ذَكَر أو أُنثى بعد عودِ فاطمةَ عليها السلام من ذلك المجلس بكلمة واحدة في الميراث. قال المرتضى: فإن قيل: فإذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفع فاطمةَ عليها السلام عن الميراث، واحتجّ بخبر لا حجّة فيه، فما بال الأمّة أقرّته على هذا الحكم، ولم تُنكِر عليه، وفي رضاها وإمساكها دليلٌ على صوابه[1] قلتُ: قد مضى أنّ تركَ النّكير لا يكون دليل الرضا إلّا في هذا الموضع الّذي لا يكون له وجهٌ سوى الرضا، وذكرْنا في ذلك قولاً شافيا، وقد أجاب أبو عثمان الجاحظُ في كتاب «العباسيّة» عن هذا السؤال جوابا حسنَ المعنى واللّفظ، نحن نذكره على وجهه، ليقابَلَ بينَه وبين كلامه في العثمانيّة وغيرها[2].

قلت: ما كناه المرتضى رحمه الله في غير هذا الموضع أصلاً، بل كان ساخطا عليه، وكناه في هذا الموضع، واستجاد قوله؛ لأنّه موافقٌ غرضَه، فسبحان الله، ما أشدّ حبّ الناس لعقائدهم! قال: قال أبو عثمان: وقد زعم أناس أنّ الدليل على صدق خبرهما ـ يعني أبا بكر وعمر ـ في منع الميراث وبراءة ساحَتِهما، تركُ أصحاب رسول الله ﷺ النكيرَ عليهما. ثم قال: قد يقال لهم: لئن كان تركُ النكير دليلا على صدقهما، ليكوننّ تركُ النكير على المتظلمين والمحتجّين عليهما، والمطالبين لهما، دليلاً على صدق دعواهم، أو استحسان مقالتهم، ولا سيّما وقد طالت المناجاة، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكيّة، واشتدّت المَوْجِدة. وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام، حتّى إنّها أوصت ألّا يصلّيَ عليها أبو بكر، ولقد كانت قالت له حين أتته طالبةً بحقّها، ومحتجّة لرَهْطها: مَنْ يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال: أهلي وولَدي؛ قالت: فما بالُنا لا نَرِث النبيّ ﷺ! فلمّا منعها ميراثَها وبخسها حقّها واعتلّ عليها وجلح في أمرها، وعاينت التهضّم، وأيست من التورّع، ووجدت نشوة الضّعف وقلّة الناصر، قالت: والله لأدعونّ الله عليك، قال: والله لأدعونّ الله لكِ؛ قالت: والله لا أكلّمك أبدا، قال: والله لا أهجُرُكِ أبدا. فإن يكن تركُ النّكير على أبي بكر دليلا على صواب منعها؛

(١) انظر الشافي ٢٣٣.
(٢) انظر الشافي ٢٣٣.

إنّ في ترك النكير على فاطمة ﷺ دليلاً على صواب طلبها! وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلتْ، وتذكيرُها ما نسيَت، وصرفُها عن الخطأ ورفع قدرها عن البذاء، وأن تقول هُجْرا، أو تجوّر عادلا، أو تقطع واصلا؛ فإذا لم تجدهم أنكروا على الخصمين جميعا فقد تكافأت الأمور، واستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله من المواريث أولَى بنا وبكم، وأوجبُ علينا وعليكم.

قال: فإن قالوا: كيف تظنّ به ظلمَها والتعدِّي عليها! وكلّما ازدادت عليه غلظةً ازداد لها ليناً ورقّة، حيث تقول له: والله لا أكلّمك أبدا، فيقول: والله لا أهجركِ أبدا، ثم تقول: والله لأدعوَنّ الله عليك، فيقول: والله لأدعونّ الله لكِ، ثم يحتمل منها هذا الكلام الغليظ، والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتّنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة! ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذرا متقرّبا، كلام المعظِّم لحقّها، المُكبر لمقَامها، والصائن لوجهها، المتحنّن عليها: ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقرا، ولا أحبّ إليّ منك غنًى، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نُورّث، ما تركناه فهو صدقة»! قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظّلم، والسلامة من الجوْر، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاءِ الماكر إذا كان أريبا، وللخصومة معتادا، أن يُظهر كلامَ المظلوم، وذلّة المنتصف[1] وحَدَب الوامق، ومِقّة المحقّ. وكيف جعلتم تركَ النكير حجّة قاطِعة، ودلالة واضحة، وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: مُتْعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، أنا أنهَى عنهما، وأعاقبُ عليهما؛ فما وجَدتم أحدا أنكر قوله، ولا استشنَع مخرج نهْيِه، ولا خطّأه في معناه، ولا تعجّب منه، ولا استفهمه! وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمرُ يومَ السَّقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ ﷺ قال: «الأئمّة من قريش»؛ ثم قال في شكاته: لو كان سالمٌ حيّا ما تخالجني فيه شكّ، حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الّذين جعلهم شُورَى، وسالمٌ عبدٌ لامرأة من الأنصار، وهي أعتقته، وحازتْ ميراثَه، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكِر، ولا قابل إنسان بين قوله، ولا تعجّب منه، وإنّما يكون تركُ النّكير على مَنْ لا رغبة ولا رهبة عنده دليلا على صدق قوله، وصوابِ عمله، فأمّا

(١) المنتصف: المستوفى حقه.

ترك النّكير على من يملك الضّعة والرِّفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجَّة تُشفى، ولا دلالة تضيء.

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما، وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خَلْعهما، والخروج عليهما، وهم الّذين وَثَبوا على عثمان في أيسر من جَحْد التنزيل، وردّ النصوص؛ ولو كان كما تقولون وما تصفون، ما كان سبيل الأمّة فيهما إلّا كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفرا، وأشرف رهطا، وأكثر عددا وثروة، وأقوى عُدّة.

قلنا: إنّهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكرا النصوص، ولكنّهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادّعيا روايةً، وتحدّثا بحديث لم يكن مُحالا كونه، ولا ممتنِعا في حجج العقول مجيئُه، وشهد لهما عليه من علّته مثل علّتهما فيه: ولعلّ بعضَهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عَدْلا في رَهْطه، مأمونا في ظاهره، ولم يكن قبلَ ذلك عرفه بفُجْرة، ولا جرتْ عليه غَدْرة، فيكون تصديقه له على جهة حُسن الظنّ، وتعديل الشاهد؛ ولأ نّه لم يكن كثيرٌ منهم يعرف حقائقَ الحُجج، والّذي يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النّكير وتواكل الناس، فاشتبه الأمر، فصار لا يُتخلّص إلى معرفة حقّ ذلك من باطله إلّا العالمُ المتقدّم أو المؤيدّ المرشد، ولأ نّه لم يكن لعثمانَ في صدور العوامّ وقلوب السَّفِلة والطَّغام ما كان لهما من المحبّة والهيبة، ولأ نّهما كانا أقلّ استئثارا بالفيء، وتفضّلا بمالِ الله منه، ومِن شأن الناس إهمال السلطان ما وقَر عليهم أموالَهم، ولم يستأثر بخراجهم، ولم يعطّل ثغورَهم. ولأن الّذي صنع أبو بكر من منع العِتْرة حقّها، والعمومة ميراثَها، قد كان موافقا لجلّة قريش وكبراءِ العرب، ولأن عثمانَ أيضاً كان مضعوفاً في نفسه، مستخفّاً بقدره، لا يمنع ضَيْما، ولا يَقمَع عدوّا؛ ولقد وثب ناس على عثمانَ بالشتم والقذف والتشنيع والنكير، لأمور لو أتى أضعافَها وبلغ أقصاها لما اجترءُوا على اغتيابه، فضلا على مبادأته والإفراء به ومواجهته، كما أغلظ عُيينةُ بن حِصْن له فقال له: أما إنّه لو كان عمر لقمَعَك ومَنَعك؛ فقال عُيينة: إنّ عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فاتّقاني.

ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خالَفنَا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقَدَر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب إسنادا، وأصحّ رجالاً، وأحسن اتّصالا؛ حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبيّ ﷺ نسخوا الكتاب، وخصّوا الخبر العامّ بما لا يداني بعضَ ما ردّوه، وأكذبوا قائليه، وذلك أنّ كلّ إنسان منهم إنما يجرى إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه. هذا آخر كلام الجاحظ[1].

ثم قال المرتضى رحمه الله: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير، وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر، فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا على غيرها من الطالبين بالإرث، كالأزواج وغيرهنّ معارَضة صحيحة، وذلك أن نكيرَ أبي بكر لذلك، ودفعها والاحتجاج عليها، ويكفيهم ويغنيهم عن تكلّف نكير آخر، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره.

قلنا: أوّل ما يُبطل هذا السؤال أنّ أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجها من التظلّم والتألّم، والتعنيف والتبكيت، وقولها على ما رُوِي: والله لأدعون الله عليك، ولا أكلمك أبدا، وما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكِرَه غيره، ومن المنكر الغضب على المنصف. وبعد، فإن كان إنكار أبي بكر مقنعا ومغنيا عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار فاطمة حكمه، ومقامها على التظلّم منه. مغن عن نكير غيرها؛ وهذا واضح.

(١) انظر الشافي ٢٣٣، ٢٣٤.

الفصل الثالث

في انّ فَدَك هل صحّ كونها نِحْلةَ رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام أم لا؟

قال ابن أبي الحديد: نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة في «المغني»، وما اعترض به عليه، ثم نذكر ما عندنا في ذلك.

قال المرتضى حاكياً عن قاضي القضاة: وممّا عظمت الشيعة القول في أمر فَدَك، قالوا: وقد رَوَى أبو سعيد الخُدْريّ أنه لما أنزلتْ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1]، أعطى رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فَدَك، ثم فعل عمر بن عبد العزيز مثل ذلك، فردّها على ولدها. قالوا: ولا شكّ أن أبا بكر أغضبها؛ إن لم يصحّ كلّ الذي رُويَ في هذا الباب، وقد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم ممّا ارتكبوا منها فضلا عن الدّين، ثم ذكروا أنها استشهدتْ أميرَ المؤمنين عليه السلام وأمَّ أيمنَ، فلم يقبل شهادتهما، هذا مع تركه أزواج النبيّ ﷺ في حجرهنّ، ولم يجعلها صدقةً، وصدقهنّ في ذلك أنّ ذلك لهنّ ولم يصدّقها.

قال: والجواب عن ذلك أنّ أكثر ما يروُون في هذا الباب غيرُ صحيح؛ ولسنا ننكر صحّة ما روى من ادّعائها فَدَك، فأمّا أنّها كانت في يدها فغير مسلّم، بل إن كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، فإذا كانت في جملة التركة فالظاهر أنها ميراث، وإذا كان كذلك فغير جائز لأبي قبولُ دَعْواها، لأنه لا خلافَ في أنّ العمل على الدَّعْوى لا يجوز، وإنما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحّته بمشاهدة، أو ما جرى مجراها، أو حصلت بيّنة أو إقرار، ثم إنّ البيّنة لابدّ منها، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما

(١) سورة الإسراء ٢٦.

خاصمه اليهوديّ حاكمه، وأنّ أمّ سلمة التي يطبق على فضلها لو ادّعت نَحْلاً ما قُبِلَتْ دعواها.

ثم قال: ولو كان أمير المؤمنين ﷺ هو الوالي، ولم يعلم صحّة هذه الدعوى، ما الذي كان يجب أن يعمل؟ فإن قلتم: يقبل الدعوى، فالشرع بخلاف ذلك، وإن قلتم: يلتمس البيّنة، فهو الذي فعله أبو بكر.

ثم قال: وأما قول أبي بكر: رجل مع الرجل، وأمرأة مع المرأة، فهو الذي يوجبه الدّين، ولم يثبت أنّ الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين ﷺ، بل الرواية المنقولة أنه شهد لها مولى لرسول الله ﷺ مع أمّ أيمن.

قال: وليس لأحد أن يقول: فلماذا ادّعت ولا بيّنةَ معها؟ لأنه لا يمتنع أن تجوّز أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين، أو تجوّز عند شهادة من شهد لها أن تذكر غيره فيشهد، وهذا هو الموجب على ملتمس الحقّ، ولا عيب عليها في ذلك، ولا على أبي بكر في التماس البيّنة، وإن لم يحكم لها لما لم يتمّ ولم يكن لها خصم، لأنّ التركة صدقة على ما ذكرنا، وكان لا يمكن أن يعوّل في ذلك على يمين أو نُكول، ولم يكن في الأمر إلّا ما فعله. قال: وقد أنكر أبو عليّ ما قاله السائل من أنّها رُدّت في دعوى النِّحلة ادّعته إرْثا، وقال: بل كان طلبت الإرث قبل ذلك، فلما سمعت منه الخبر كفّت وادّعت النِّحلة[1].

قال: فأما فِعْل عمر بن عبد العزيز فلم يثبت أنه ردّه على سبيل النِّحلة، بل عمل في ذلك ما عمله عمرُ بن الخطاب بأنْ أقرّه في يد أمير المؤمنين ﷺ ليصرف غلّاتها في المواضع التي كان يجعلها رسول الله ﷺ فيه، فقام بذلك مدّة، ثم ردّها إلى عمر في آخر سنته، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز؛ ولو ثبت أنه فعل بخلاف ما فعل السَّلف لكان هو المحجوجَ بفعلهم وقولهم. وأحدُ ما يقوّى ما ذكرناه أنّ الأمرَ لما انتهى إلى أمير المؤمنين ﷺ ترك فَدَك على ما كان، ولم يجعله ميراثا لولد فاطمة، وهذا يبيّن أنّ الشاهد كان غيره، لأنه لو كان هو الشاهد لكان الأقربَ أن يحكم

(١) انظر الشافي ٢٣٥.

بعلمه؛ على أنّ الناس اختلفوا في الهِبَة إذا لم تقبض، فعند بعضهم تستَحقّ بالعقد؛ وعند بعضهم أنها إذا لم تقبَض يصير وجودها كعدمها، فلا يمتنع من هذا الوجه أن يمتنع أميرُ المؤمنين عليه السلام من ردّها، وإن صحّ عنده عقد الهبة، وهذا هو الظاهر، لأنّ التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان في يدها، وكلان ذلك كافيا في الاستحقاق، فأمّا حُجَر أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله فإنما تركتْ في أيديهنّ لأنها كانت لهنّ، ونصّ الكتاب يشهد بذلك، وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1].

ورُوى في الأخبار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قسم ما كان له من الحُجَر على نسائه وبناته. ويبيّن صحة ذلك أنه لو كان ميراثا أو صدقة لكان أميرُ المؤمنين عليه السلام لمّا أفضى الأمرُ اليه يغيّره.

قال: وليس لأحد أن يقول: إنما لم يغيّر ذلك لأنّ الملك قد صار له، فتبرّع به، وذلك أنّ الذي يحصل له ليس إلّا ربع ميراث فاطمة عليها السلام، وهو الثمنُ من ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان يجب أن ينتصف لأولاد العباس وأولاد فاطمة منهن في باب الحجَر، ويأخذ هذا الحقّ منهنّ، فتركه ذلك يدلّ على صحّة ما قلناه، وليس يمكنهم بعد ذلك إلّا التعلق بالتقيّة، وقد سبق الكلام فيها.

قال: ومما يَذْكرونه أن فاطمة عليها السلام لغضبها على أبي بكر وعمرَ أوصت ألّا يصلّيا عليها، وأن تُدْفن سرّا منهما، فدفنت ليلا، وهذا كما ادّعوا رواية روَوْها عن جعفر بن محمد عليه السلام وغيره، أنّ عمر ضرَب فاطمة عليها السلام بالسوط، وضرب الزبير بالسيف، وأن عمر قصد منزلها وفيه عليّ عليه السلام والزبير والمقداد وجماعة ممّن تخلّف عن أبي بكر وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أحدٌ بعدَ أبيك أحبّ إلينا منك، وايمُ الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم! فمنعت القومَ من الاجتماع.

قال: ونحن لا نصدّق هذه الروايات ولا نجوّزها. وأمّا أمر الصلاة فقد رُوى أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام، وكبّر عليها أربعاً وهذا أحد ما استدلّ به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت، ولا يصحّ أيضاً أنها دُفنت ليلا، وإن صَحّ

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

ذلك فقد دُفن رسولُ الله ﷺ ليلا، ودَفَن عمرُ ابنه ليلا، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا مما يطعن به، بل الأقرب في النّساء أنّ دفنهنّ ليلا أستَر وأولَى بالسنة.

ثم حكَى عن أبي عليّ تكذيبَ ما رُوِي من الضرب بالسوط؛ قال: والمرويّ عن جعفر بن محمد ﷺ أنه كان يتولّاهما، ويأتي القبر فيسلم عليهما مع تسليمة على رسول الله ﷺ، رَوَى ذلك عباد بن صُهيب، وشعبة بن الحجاج، ومهديّ بن هلال، والدَّراوَرْديّ، وغيرهم، وقد روى عن أبيه محمد بن عليّ ﷺ وعن عليّ بن الحسين مثل ذلك، فكيف يصحّ ما ادّعَوْه! وهل هذه الرواية إلّا كرواياتهم على أن عليّ بن أبي طالب ﷺ هو إسرافيل والحسن ميكائيل والحسين جبرائيل **وفاطمة** ملك الموت، وآمنة أمّ النبيّ ﷺ ليلة القدر! فإن صدّقوا ذلك أيضاً قيل لهم: فعمر بنُ الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت! وإن قالوا: لا نصدّق ذلك، فقد جوّزوا ردّ هذه الروايات، وصحّ أنه لا يجوز التعويل على هذا الخبر وإنما يتعلق بذلك مَنْ غرّضه الإلحاد كالورّاق، وابن الراونديّ لأنّ غرضهم القدْح في الإسلام.

وحُكي عن أبي عليّ أنه قال: ولم صار غضبُها إن ثبت كأنه غضب رسول الله ﷺ من حيث قال: «**فمن أغضبها فقد أغضبني**»، أولى من أن يقال: فمن أغضب أبا بكر وعمر فقد نافق وفارق الدين؛ لأنه رُوِي عنه ﷺ قال: «**حبُّ أبي بكر وعمر إيمان، وبغضُهما نفاق**»! ومن يورد مِثل هذا فقصده الطعن في الإسلام، وأن يتوهّم الناس أنّ أصحاب النبيّ ﷺ نافقوا مع مشاهدة الأعلام ليُضعفوا دَلالة العلم في النفوس.

قال: وأما حديث الإحراق فلو صحّ لم يكن طعناً على عمر، لأن له أن يهدّد من امتنع من المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت. انتهى كلام قاضي القضاة[1].

قال المرتضى: نحن نبتدئ فندلّ على أنّ فاطمة ﷺ ما ادّعت من نحْل فَدَك إلّا

(١) انظر الشافي ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ما كانت مصيبة فيه، وأن مانعها ومطالبها بالبيّنة متعنّت، عادلٌ عن الصواب، لأنها لا تحتاج إلى شهادة وبيّنة، ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل، فنتكلم عليه.

أما الذي يدلّ على ما ذكرناه فهو أنها كانت معصومة من الغلط، مأمونا منها فعلُ القبيح، ومَن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبيّنة. فإن قيل: دلّلوا على الأمرين، قلنا: بيان الأوّل قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] والآية تتناول جماعةً منهم فاطمة عليها السلام بما تواترت الأخبار في ذلك، والإرادة هاهنا دلالة على وقوع الفعل للمراد. وأيضاً فيدلّ على ذلك قولُه صلى الله عليه وآله: «فاطمة بَضْعةٌ منّي، مَنْ آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ»، وهذا يدلّ على عصمتها؛ لأنّها لو كانت ممّن تقارف الذنوب لم يكن مَنْ يؤذيها مؤذيا له على كلّ حال، بل كان متى فعل المستحقّ من ذمّها أو إقامة الحدّ عليها، إن كان الفعل يقتضيه سارًّا له ومطيعا، على أنّا لا نحتاج أن ننبّه هذا الموضع على الدّلالة على عصمتها، بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادّعته، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، لأنّ أحداً لا يشكّ أنّها لم تدّعِ ما ادّعته كاذبة، وليس بعد ألّا تكون كاذبة إلّا أنْ تكون صادقة؛ وإنّما اختلفوا في هل يجب مع العلم بصدقهاتسليم ما ادّعته يغير بيّنة أم لا يجب ذلك، قال: الّذي يدلّ على الفصل الثاني أنّ البيّنة إنّما تراد ليغلب في الظنّ صدقُ المدّعي، ألا ترى أنّ العدالة معتبرةٌ في الشهادات لما كانت مؤثّرة في غَلَبة الظنّ لما ذكرناه، ولهذا جاز أن يَحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة لأنّ علمه أقوى من الشهادة، ولهذا كان الإقرار أقوى من البيّنة، من حيث كان أغلبَ في تأثير غلبة الظنّ، وإذا قدّم الإقرار على الشهادة لقوّة الظنّ عنده، فأَوْلى أن يُقدّم العلم على الجميع، وإذا لم يحتجْ مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القويّ لا يحتاج أيضاً مع العلم إلى ما يؤثر الظنّ من البيّنات والشهادات.

والّذي يدلّ على صحّة ما ذكرناه أيضاً أنّه لا خلاف بين أهل النقل في أنّ

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

أعرابيًا نازع النبيّ ﷺ في ناقة، فقال ﷺ: «هذه لي؛ وقد خرجتُ إليك من ثمنها»، فقال الأعرابيّ: من يَشهد لك بذلك؟ فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد بذلك؛ فقال النبيّ ﷺ: «من أين علمتَ وما حضرتَ ذلك؟» قال: لا، ولكن علمتُ ذلك من حيث علمت أنّك رسولُ الله، فقال: «قد أجزتُ شهادَتك، وجعلتُها شهادتين»؛ فسُمّيَ ذا الشهادتين.

وهذه القصّة شبيهة لِقصّة فاطمةَ ﷺ، لأنّ خزَيمة اكتفى في العلم بأن النّاقة له ﷺ، وشهد بذلك من حيث علم أنّه رسول الله ﷺ، ولا يقول إلّا حقًّا، وأمضى النبيّ ﷺ ذلك له من حيث لم يحضر الابتياع وتسليم الثمن، فقد كان يجب على مَنْ علم أنّ فاطمة ﷺ لا تقول إلّا حقا ألّا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة؛ هذا وقد رُوِي أنّ أبا بكر لمّا شهد أمير المؤمنين ﷺ كتب بتسليم فَدَك إليها، فاعترض عمر قضيّته، وخرّق ما كتبه.

روى إبراهيم بن السعيد الثقفيّ، عن إبراهيم بن ميمون، قال: حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، عن أبيه، عن جدّه عن عليّ ﷺ، قال: جاءت فاطمة ﷺ إلى أبي بكر وقالت: إنّ أبى أعطاني فَدَك، وعليٌّ وأمّ أيمَنَ يشهدان، فقال: ما كنتِ لتقولى على أبيك إلّا الحقّ قد أعطيتُكِها، ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها؛ فخرجتْ فلقيتْ عمرَ، فقال: من أينْ جئت يا فاطمة؟ قالت: جِئتُ من عند أبي بكر، أخبرتُه أنّ رسول الله ﷺ أعطاني فَدَك، وأنّ عليًا وأمّ أيمن يشهدان لي بذلك، فأعطانيها، وكتب لي بها؛ فأخذ عمر منها الكتاب، ثم رجع إلى أبي بكر، فقال: أعطيتَ فاطمةَ فَدَك، وكتبتَ بها لها؟ قال: نعم، فقال: إنّ عليًا يجرّ إلى نفسه، وأمّ أيمَن امرأة؛ وبَصَق في الكتاب فمحاه وخَرّقه.

وقد رُوِي هذا المعنى من طرق مختلفة، على وجوه مختلفة، فمن أراد الوقوفَ عليها، واستقصاءَها أخذها منْ مواضعها.

وليس لهم أن يقولوا: إنّها أخبار آحاد، لأنّها وإن كانت كذلك، فأقلّ أحوالها أنْ توجب الظنّ، وتَمنَع من القطع على خلاف معناها. وليس لهم أن يقولوا: كيف

يسلّم إليها فَدَك وهو يَروِي عن الرّسول أن ما خلّفه صدَقه، وذلك لأ نّه لا تنافي بين الأمرين، لأ نّه إنما سلّمها على ما وردتْ به الرواية على سبيل النّحْل، فلمّا وقعت المطالبةُ بالميراث روى الخبر في معنى الميراث، فلا اختلاف بين الأمرين.

فأمّا إنكار صاحب الكتاب لكون فَدَك في يدها، فما رأيناه اعتَمَد في إنكار ذلك على حجّة، بل قال: لو كان ذلك في يدها لكان الظّاهر أنّها لها. والأمر على ما قال، فمن أين أ نّه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضي الظاهرُ خلافَه! وقد رُوِي من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الّذي ذكره صاحبُ الكتاب أ نّه لمّا نزل قولُه تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] دعا النبيّ ﷺ فاطمةَ عليها السلام فأعطاها فَدَك! وإذا كان ذلك مرويّا فلا معنى لدفعه بغير حجّة.

وقوله: لا خلاف أنّ العمل على الدّعوى لا يجوز، صحيح، وقد بيّنّا أنّ قولها كان معلوما صحتّه، وإنّما قوله: إنما يعمل على ذلك متى علم صحتّه بشهادة أو ما يجرى مجراها، أو حصلت بيّنة أو إقرار، فيقال له: إمّا علمتَ بمشاهدة فلم يكن هناك، وإمّا بيّنة فقد كانت على الحقيقة، لأنّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام من أكبر البيّنات وأعدلِها، ولكن على مذهبك أنه لم تكن هناك بيّنة فمن أين زعمتَ أ نّه لم يكن هناك عِلْم! وإن لم يكن عن مشاهدة فقد أدخلتَ ذلك في جملة الأقسام.

فإن قال: لأن قولها بمجرّده لا يكون جهةً للعلم؛ قيل له: لم قلت ذلك؟ أو ليس قد دلّلنا على أنّها معصومة، وأن الخطأ مأمونٌ عليها! ثم لو لم يكن كذلك لكان قولُها في تلك القضيّة معلوما صحّته على كلّ حال، لأ نّها لو لم تكن مصيبةً لكانت مبطلة عاصية فيما ادّعته، إذ الشّبهة لا تدخل في مثله؛ وقد أجمعت الأمّة على أنّها لم يظهر منها بعد رسول الله ﷺ معصية بلا شكّ وارتياب؛ بل أجمعوا على أنّها لم تدّع إلّا الصحّيح، وإن اختلفوا؛ فمن قائل يقول: مانِعُها مُخطئ، وآخر يقول: هو أيضاً مصيب، لفقد البيّنة وإن علم صدقها.

وأمّا قوله: إنّه لو حاكم غيرَه لطولب بالبيّنة، فقد تقدّم في هذا المعنى ما

(١) سورة الإسراء ٢٦.

يكفي، وقصّة خزيمة بن ثابت وقبول شهادته تُبطل هذا الكلام. وأمّا قوله: إنّ أمير المؤمنين ﷺ حاكَمَ يهوديّا على الوجه الواجب في سائر الناس، فقد رُوِي ذلك، إلّا أنّ أمير المؤمنين لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه أن يفعله، وإنّما تبرّع به، واستظهر بإقامة الحجّة فيه؛ وقد أخطأ من طالبه ببيّنة كائنا منْ كان. فأمّا اعتراضه بأمّ سَلَمة فلم يَثبُت من عصمتها ما ثَبَت من عصمة فاطمةَ ﷺ، فلذلك احتاجتْ في دعواها إلى بيّنة. فأمّا إنكاره وادّعاؤه أنّه لم يثبت أنّ الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين، فلم يزد في ذلك إلّا مجرد [الدعوى و] الإنكار، والأخبار مستفيضةٌ بأنّه ﷺ شهد لها، فدفْع ذلك بالزّيغ لا يُغني شيئاً! وقوله: إنّ الشاهد لها مولىً لرسول الله ﷺ هو المنكَر الّذي ليس بمعروف.

وأما قوله: إنّها جوّزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين فَطريف؛ مع قوله: فيما بعد: «إن التّركة صدقة، ولا خصم فيها»، فتدخل اليمين في مثلها؛ أفترى أنّ فاطمة لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذي نبّه صاحب الكتاب عليه! ولو لم تعلمه ما كان أمير المؤمنين ﷺ وهو أعلم الناس بالشّريعة يوافقها عليه.

وقوله: إنّها جوّزت عند شهادة مَنْ شهد لها أن يتذكّر غيرهم فيشهد باطل، لأنّ مِثلَها لا يتعرّض للظّنّة والتهمة، ويعرّض قوله للردّ، وقد كان يجب أن تعلم مَنْ يشهد لها ممّن لا يشهد حتّى تكون دعواها على الوجه الّذي يجب معه القبول والإمضاء، ومَنْ هو دونها في الرتبة والجلالة والصّيانة من أفناء الناس لا يتعرّض لِمثل هذه الخطّة ويتورّطها، للتجويز الّذي لا أصلَ له ولا أمارة عليه.

فأمّا إنكار أبي عليّ لأن يكون النِّحْل قبل ادّعاء الميراث وعكسه الأمر فيه، فأوّل ما فيه أنّا لا نعرف له غرَضا صحيحا في إنكار ذلك، لأنّ كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحّح له مذهبا؛ فلا يُفيد على مخالِفه مذهبا.

ثم إنّ الأمر في أنّ الكلام في النِّحْل كان المتقدّم ظاهرا، والروايات كلّها به واردة؛ وكيف يجوز أن تبتدئ بطلب الميراث فيما تدّعيه بعينه نَحْلا! أو ليس هذا يوجِب أن تكون قد طالبتْ بحقّها من وجه لا تستحقّه منه مع الاختيار! وكيف يجوز

ذلك والميراثُ يَشرَكها فيه غيرها، والنَّحْل تنفرد به! ولا ينقلب بِثلُ ذلك علينا من حيث طالبتُ بالميراث بعد النَّحْل؛ لأنّها في الابتداء طالبتْ بالنَّحْل، وهو الوجه الّذي تستحقّ فَدَك منه، فلمّا دُفعتْ عنه طالبت ضرورةً بالميراث؛ لأن للمدفوع عن حقّه أن يتوصّل إلى تناوله بكلّ وجه وسبب، وهذا بخلاف قول أبي عليّ، لا نّه أضاف إليها ادّعاء الحقّ من وجه لا تستحقّه منه، وهي مختارة. وأما إنكاره أن يكون عمرُ بنُ عبد العزيز ردَّ فَدَك على وجه النَّحْل، وادّعاؤه أنه فعل في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام، ليصرف غلاتها في وجوهها، فأوّل ما فيه أ نّا لا نحتجّ عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على أيّ وجه وقع، لأنّ فعله ليس بحجّة، ولو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الُحجج لذكرنا فعل المأمون، فإنه ردّ فَدَك بعد أن جلس مجلسا مشهورا حكم فيه بين خَصْمين نصّبهما، أحدهما لفاطمة، والآخر لأبي بكر، وردّها بعد قيام الُحجّة ووضوح الأمر.

ومع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه، وقد رَوَى محمد بن زكريا الغَلابيّ عن شيوخه، عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان، قال: لما ولِّي عمرُ بن عبد العزيز ردَّ فَدَك على ولد فاطمة، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حَزْم يأمره بذلك، فكتب إليه: إنّ فاطمة قد ولدتْ في آل عثمان، وآل فلان وفلان، فعلى من أردّ منهم؟ فكتب إليه: أما بعد، فإني لو كتبت إليك آمرُك أن تذبح شاةً لكتبتَ إليّ: أ جمّاء أم قَرْناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألْتني: ما لونُها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام؛ والسلام.

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أميّة ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه، وقالوا له: هجّنتَ فعل الشيخين، وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة، فلما عاتبوه على فعله قال: إنكم جهلتم وعلمتُ، ونسيتم وذكرتُ، إن أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جده أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة بَضعةٌ منّي يسخطها ما يسخطني، ويُرضيني ما أرضاها**»، وإن فَدَك كان صافية على عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلى مروان، فوهبها لعبد العزيز أبي، فورثتُها أنا

وإخوتي عنه، فسألتُهم أن يبيعوني حصّتهم منها، فمن بائع وواهب، حتى استجمعتْ لي، فرأيتُ أن أردّها على ولد فاطمة. قالوا: فإن أبيتَ إلّا هذا فأمسك الأصل، واقسم الغَلّة، ففعل.

وأمّا ما ذكره من ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما أفضى الأمرُ إليه؛ واستدلاله بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها، فالوجه في تركه عليه السلام ردّ فَدَك هو الوجه في إقراره أحكامَ القوم وكفِّه عن نقضها وتغييرها، وقد بيّنا ذلك فيما سبق، وذكرنا أنه كان في انتهاء الأمر إليه في بقيّة من التقيّة قويّة. فأما استدلاله على أنّ حُجَر أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله كانت لهنّ بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1]، فمن عجيب الاستدلال، لأنّ هذه الإضافة لا تقتضي المِلك، بل العادة جاريةٌ فيها أن تستعمل من جهة السكنى، ولهذا يقال: هذا بيتُ فلان ومسكنُه، ولا يراد بذلك المِلك، وقد قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[2]، ولا شبهة في أنه تعالى أراد منازل الرجال التي يُسكِنون فيها زوجاتِهم، ولم يُرِد بهذه الإضافة الملك.

فأما ما رواه من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قسم حُجَره على نسائه وبناته، فمن أين له إذا كان الخبر صحيحا أنّ هذه القسمة على وجه التمليك دون الإسكان والإنزال! ولو كان قد ملّكهنّ ذلك لوجب أن يكون ظاهرا مشهورا.

فأما الوجه في ترك أمير المؤمنين لما صار الأمر إليه في يده منازعة الأزواج في هذه الحُجر فهو ما تقدّم وتكرّر.

وأما قوله: إنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة وكبّر أربعا، وإنّ كثيراً من الفقهاءِ يستدلُّون به في التكبير على الميت ـ وهو شيء ما سُمِع إلّا منه، وإن كان تلقّاه عن غيره ـ فممّن يجرى مجراه في العصبيّة، وإلّا فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسِّير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أن عليّا عليه السلام هو الذي صلّى على فاطمة، إلّا رواية نادرة شاذّة بأن العباس رحمه الله صلّى عليها.

---

(١) سورة الاحزاب ٣٣.

(٢) سورة الطلاق ١.

وروى الواقديّ بإسناده في تاريخه، عن الزهريّ؛ قال: سألت ابن عباس: متى دفنتم فاطمة عليها السلام؟ قال: دفنّاها بليل بعد هَدْأة؛ قلتُ: فمن صلّى عليها؟ قال: عليّ.

ورَوَى الطبريّ عن الحارث بن أبي أسامة، عن المدائنيّ، عن أبي زكريا العجلانيّ أنّ فاطمة عليها السلام عُمِل لها نعش قبل وفاتها، فنظرتْ إليه، فقالت: سترتُمونى ستَرَكما الله!

قال أبو جعفر محمد بن جرير: والثبت في ذلك أنّها زينب، لأنّ فاطمة دُفنتْ ليلا، ولم يحضرها إلّا عليّ والعبّاس والمقداد والزبير. ورَوَى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه، عن الزّهريّ؛ قال حدثني عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته أنّ فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها عليّ ليلا، وصلّى عليها، وذكر في كتابه هذا أنّ عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلا، وغيّبوا قبرها.

وروى سُفيان بن عيينة، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن محمد بن الحنفيّة أنّ فاطمة دُفنت ليلا.

وروى عبدُ الله بن أبي شيبة، عن يحيى بن سعيد القّطان، عن معمر، عن الزّهرى مثل ذلك.

وقال البلاذُريّ في تاريخه: إنّ فاطمة عليها السلام لم تُرَ متبسّمة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها.

ولا أمر في هذا أوضح وأشهر من أن نُطنب في الاستشهاد عليه، ونذكر الروايات فيه.

فأما قوله: ولا يصحّ أنها دفنتْ ليلا وإن صحّ فقد دُفن فلان وفلان ليلا؛ فقد بيّنا أنّ دفنها ليلا في الصحّة أظهر من الشمس، وأنّ مُنكر ذلك كالدافع للمشاهدات: ولم يجعل دفنها ليلا بمجرده هو الحُجّة ليقال: لقد دُفن فلان وفلان ليلا: بل يقع الاحتجاج بذلك على ما وردتْ به الروايات المستفيضة الظّاهرة التي هي كالتواتر؛ أنها أوصت بأن تدفن ليلا حتى لا يصلى الرجلان عليها، وصرّحت بذلك وعهدتْ فيه عهدا بعد أن كانا

استأذنا عليها في مَرَضها ليعوداها، فأبتْ أن تأذنَ لهما، فلما طالت عليهما المدافعة رَغِبا إلى أمير المؤمنين ﷺ في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجةً إليه، وكلمها ﷺ في ذلك، وألحّ عليها، فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلّمها، فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين ﷺ: هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم قالت: فهل أنت صانع ما آمرك به؟ قال نعم، قالت: فإنّي أنشدك الله ألّا يُصلّيا على جنازتي، ولا يقومَا على قبري! وروى أنه عَفّى قبرها وعلّم عليه، ورشّ أربعين قبرا في البقيع، ولم يرشّ قبرها حتى لا يُهتدى إليه، وأنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها، وإحضارهما الصلاة عليها، فمن هاهنا احتججنا بالدّفن ليلا، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدّم عليه وما تأخرّ عنه، لم يكن فيه حُجّة.

وأما حكايته عن أبي عليّ إنكار ضرب الرجل لها. وقوله: إنّ جعفر بن محمّد وأباه وجدّه كانوا يتولّونهما، فكيف لا ينكر أبو عليّ ذلك، واعتقاده فيهما اعتقاده! وقد كنّا نظنّ أنّ مخالفينا يقتنعون أن يَنسُبوا إلى أئمتّنا الكفّ عن القوم، والإمساك، وما ظننّا أنّهم يَحملون أنفسهم على أن يُنسبُوا إليهم الثناء والوَلاء، وقد علم كلّ أحد أنّ أصحاب هؤلاء السادة المختصّين بهم، قد روَوا عنهم ضدّ ما روى شعبة بن الحجّاج وفلان وفلان وقولهم: هما أوّل من ظلمَنا حقّنا، وحمل الناسَ على رقابنا، وقولهم: أنّهما أصفيا بإنائنا، واضطجعا بسبلنا، وجلسا مجلسا نحن أحقّ به منهما، إلى غير ذلك من فنون التظّلم والشّكاية، وهو طويل متّسع، ومن أراد استقصاء ذلك فلينظر في كتاب «المعرفة» لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الثّقفيّ، فإنّه قد ذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيّرة مالا زيادة عليه، ثم لو صحّ ما ذكره شُعْبة لجاز أن يُحمَل على التقيّة.

وأمّا ذكره إسرافيل وميكائيل؛ فما كنّا نظنّ أنّ مثله يذكر ذلك، وهذا من أقوال الغُلاة الذين ضلّوا في أمير المؤمنين ﷺ وأهل البيت، وليسوا من الشّيعة ولا من المسلمين، فأيّ عيب علينا فيما يقولونه! ثم إن جماعةً من مخالفينا قد غَلَوا في أبي بكر وعمر، ورَوَوْا روايات مختلفة فيهما تَجري مجرى ما ذكره في الشّناعة، ولا يلزم العقلاءَ وذَوِي الألباب من المخالفين عيبٌ من ذلك. وأمّا معارضة ما رُوِي في

فاطمة عليها السلام بما رُوِي في «أنّ حبّهما إيمان، وبغضهما نفاق»، فالخبر الّذي رويناه مُجمَع عليه، والخبر الآخرُ مطعونٌ فيه، فكيف يعارَض ذلك بهذا!

وأمّا قوله: إنّما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيفَ دلالة الأعلام في النفوس، من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها؛ فتشنيعٌ في غير موضعه، واستنادٌ إلى ما لا يُجدي نفعا، لأنّ من شاهد الأعلام لا يضعفها ولا يُوهن دليلها. ولا يقدح في كونها حجّة، لأنّ الأعلام ليست ملجئة إلى العِلم، ولا موجبة لحصوله على كلّ حال، وإنّما تثمر العلم لمن أمعن النّظر فيها من الوجه الّذي تدلّ منه، فمَنْ عَدَل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون عدولُه مؤثّرا في دلالتها، فكم قد عَدَل من العقلاء وذوى الأحلام الراجحة والألباب الصحيحة عن تأمّل هذه الأعلام وإصابة الحقّ منها! ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب قادحا في دلالة الأعلام. على أنَّ هذا القول يُوجِب أن ينفى الشكّ والنّفاق عن كلّ من صَحِب النبيّ صلى الله عليه وآله وعاصره وشاهد أعلامه كأبي سفيان وابنه، وعمرو ابن العاص، وفلان وفلان؛ ممّن قد اشتهر نفاقهم وظهر شَكُّهم في الدين وارتيابهم باتّفاق بيننا وبينه؛ وإن كانت إضافة النّفاق إلى هؤلاء لا تقدح في دلالة الأعلام، فكذلك القول في غيرهم.

فأما قوله: إن حديث الإحراق لم يصحّ، ولو صحّ لساغ لعمر مثل ذلك؛ فقد بينا أنّ خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة.

وقوله: إنه يسوغ مثل ذلك؛ فكيف يسوغ إحراق بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام! وهل في ذلك عُذْر يصغَى إليه أو يسمَع! وإنما يكون عليّ وأصحابُه خارقين للإجماع ومخالفين للمسلمين؛ لو كان الإجماع قد تقرّر وثبت، وليس بمتقرّر ولا ثابت مع خلاف عليّ وحده، فضلا عن أن يوافقه على ذلك غيرُه. وبعد، فلا فرق بين أنْ يُهدّد بالإحراق لهذه العلّة، وبين أن يضرب فاطمة عليها السلام لمثلها؛ فإن إحراق المنازل أعظمُ من ضرب سوط أو سوطين؛ فلا وجه لامتعاض المخالف من حديث الضّرب إذا كان عنده مثل هذا الاعتذار[1]!

---

(١) انظر الشافي ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

قلت: أمّا الكلامُ في عِصْمة فاطمة ﷺ فهو بغثّ الكلام أشبه، وللقول فيه موضع غير هذا.

وأما قول المرتضى: إذا كانت صادقة لم يبق حاجةٌ إلى مَنْ يشهد لها؛ فلقائل أن يقول: لم قلت ذلك؟ ولم زَعمت أنّ الحاجة إلى البيّنة إنّما كانت لزيادة غَلَبة الظنّ؟ ولم لا يجوز أنْ يكون الله تعالى يُعبّد بالبيّنة لمصلحة يعلمها؛ وإن كان المدّعى لا يكذب! أليس قد تعبّد الله تعالى بالعدّة في العجوز التي قد أيِست من الحمْل؛ وإن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم!

وأما قصّة خُزيمة بن ثابت؛ فيجوز أن يكون الله تعالى قد علم أنّ مصلحة المكلّفين في تلك الصورة أن يكتفى بدعوى النبي ﷺ وحدها؛ ويستغنى فيها عن الشهادة. ولا يمتنع أن يكون غير تلك الصورة مخالفا لها، وإن كان المدّعى لا يكذّب. ويبين ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الأئمة والصالحين؛ ولو قدّرنا أن واحداً من أهل الصلاح والخير ادّعى دعوى، وقال بحضرة جماعة من الناس من جملتهم القاضي: اللهمّ إن كنتُ صادقاً عليّ معجزة خارقة للعادة؛ فظهرتْ عليه، لعلمنا أ نّه صادق؛ ومع ذلك لا تقبل دعواه إلّا ببيّنة.

وسألت علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحُرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فَدَك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيها تدّعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود؛ وهذا كلام صحيح؛ وإن كان أخرجه مخرج الدُّعابة والهزْل.

فأما قول قاضي القضاة: لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، واعتراض المرتضى عليه بقوله: إنه لم يعتمِدْ في إنكار ذلك على حجّة، بل قال: لو كانت في

يدها لكان الظاهر أنّها لها، والأمر على ما قال؛ فمن أين أنّها لم تخرج عن يدها على وجه! كما أنّ الظاهر يقتضي خلافه؛ فإنه لم يُجب عمّا ذكره قاضي القضاة؛ لأنّ معنى قوله: إنها لو كانت في يدها، أي متصرّفة فيها لكانت اليد حجّة في الملكيّة؛ لأنّ اليدَ والتصرّف حجّة لا محالة، فلو كانت في يدها تتصرّف فيها وفي ارتفاقها كما يتصرّف الناس في ضياعهم وأملاكهم لما احتاجت إلى الاحتجاج بآية الميراث ولا بِدَعْوى النِّحْل؛ لأنّ اليد حجّة، فهلا قالت لأبي بكر: هذه الأرض في يدي؛ ولا يجوز انتزاعها منّي إلّا بحجّة! وحينئذ كان يسقط احتجاج أبي بكر بقوله: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**»، لأنّها ما تكون قد ادّعتها ميراثاً ليحتجّ عليها بالخبر. وخبر أبي سعيد في قوله «**فأعطاها فَدَك**»، يدلُّ على الهبة لا على القبض والتصرّف؛ ولأنه يقال: أعطاني فلان كذا فلم أقبضْه، ولو كان الإعطاء هو القبض والتصرّف؛ لكان هذا الكلام متناقضاً.

فأمّا تعجّب المرتضى من قول أبي عليّ: إن دعوى الإرث كانت متقدّمة على دعوى النِّحْل، وقوله: إنا لا نعرف له غرضاً في ذلك، فإنه لا يصح له بذلك مذهب، ولا يبطل على مخالفيه مذهب؛ فإن المرتضى لم يقف على مُراد الشيخ أبي عليّ في ذلك؛ وهذا شيء يرجع إلى أصول الفقه، فإنّ أصحابنا استدلُّوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابة، لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[1] برواية أبي بكر عن النبي ﷺ: «**لا نورث، ما تركناه صدَقة**»؛ قالوا: والصحيح في الخبر أنّ فاطمة عليها السلام طالبت بعد ذلك بالنِّحْل، وذلك لأنه ثبت أنّ فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لأبي بكر؛ فلو كانت دعوى الإرْث متأخّرة، وانصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد؛ أمّا إذا كانت دعوى الإرث متقدّمة فلمّا روى لها الخبر أمسكت وانتقلت إلى النزاع من جهة أخرى، فإنه يصحّ حينئذ الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد.

---

(١) سورة النساء ١١.

فأما أنا فإن الأخبار عندي متعارضة، يدلّ بعضها على أنّ دعوى الإرث متأخرة، ويدلّ بعضها على أنها متقدمة؛ وأنا في هذا الموضع متوقّف.

وما ذكره المرتضى من أنّ الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النِّحْل فصحيح، وأما إخفاء القبر وكتمان الموت وعدم الصلاة وكلّ ما ذكره المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي، لأن الروايات به أكثر وأصحّ من غيرها، وكذلك القول في مَوجدتها وغضبها، فأمّا المنقول عن رجال أهل البيت فإنّه يختلف، فتارة وتارة، وعلى كلّ حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصرة أبيهم وبيتهم. وقد أخلّ قاضي القضاة بلفظة حكاها عن الشيعة فلم يتكلّم عليها وهي لفظة جيدة. قال: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم مما ارتكبا منها فضلا عن الدِّين. وهذا الكلام لا جواب عنه، ولقد كان التكرّم ورعاية حقّ رسول الله ﷺ وحفظ عهده يقتضي أن تعوّض ابنته بشيء يرضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فَدَك وتُسلم إليها تطييباً لقلبها. وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه، وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا نعلم حقيقة ما كان، وإلى الله ترجع الأمور[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/٢٤٩ ـ ٢٥١.

احتجاج فاطمة ومطالبتها بفدك في خطبتها عليها السلام

قال توفيق أبو علم: والمشهور عن السيّدة الزهراء عليها السلام أنّها كانت قويّة العارضة، خطيبة بارعة إذا ما انتبرت المنابر هزّت القلوب والمشاعر، وإنّ خطبتها على جمهرة من المهاجرين والأنصار آية على ثبت بديهيتها وحضور ذهنها... ولا غرابة في فصاحتها لأنّها نشأت في بيت النبوّة تسمع كلام أبيها أبلغ البُلغاء ثمّ انتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من الإمام علي عليه السلام الذي لم يختلف على بلاغته محبّ أو عدوّ وسمعت القرآن يرتّل في بيتها في الصلوات وفي سائر الأوقات...»[1].

أقول: تقدّم ما يدلّ على ذلك خاصّة قول عائشة بشباهة فاطمة لأبيها بالحديث والمنطق والكلام.

ولمن يريد المزيد من بلاغتها فليتأمّل في خطبتها الآتية ومعانيها وقد اعتنى جملة من العلماء بشرحها وما بلغوا[2].

قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك[3] وقلت له إنّ

---

(١) فاطمة الزهراء: ١٦٤ ـ ١٦٦.

(٢) راجع فاطمة الزهراء لتوفيق: ١٦٧ ـ ١٨٠، وبحار الأنوار: ٤٣/ ١٦٢ ـ ١٧٠، والدرّة البيضاء في شرح خطبة الزهراء.

(٣) أي إرثها من فدك وهي قرية كان للنبي نصفها فلمّا توفّي صلوات الله عليه أرادت فاطمة أن تأخذ نصيبها في الإرث منها فمنع أبو بكر الخليفة دون ذلك محتجّاً بقول النبيّ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة».

هؤلاء[١] يزعمون أنّه مصنوع وأنّه من كلام أبي العيناء «الخبر منسوق البلاغة على الكلام»[٢].

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أبناءهم وقد حدّثنيه أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي العيناء، وقد حدّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبدالله بن الحسن يذكره عن أبيه، ثمّ قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثمّ ذكر الحديث.

قال: لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وعليها ـ فدكاً وبلغ ذلك فاطمة لاثت خمارها[٣] على رأسها وأقبلت في لمّة من حفدتها[٤] تطأ ذيولها ما تخرم[٥] من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد[٦] من المهاجرين والأنصار فنيطت[٧] دونها ملاءة ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء وارتجّ المجلس، فأمهلت حتّى سكن نشيج[٨] القوم وهدأت فورتهم، فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعرفوه تجدوه

---

(١) يشير إلى قوم في عصره كانوا يغضون من قدر آل البيت.

(٢) يعني أنّ الطعن هو في نسبة هذا الكلام البليغ إلى فاطمة أمّا نفس الواقعة وهي منع الإرث فهي صحيحة ومثبوتة في كتب التاريخ.

(٣) اللوث عصب العمامة والخمار ما يستر به الإنسان وفي نسخة واشتملت بجلبابها.

(٤) اللمة: الصاحب أو الأصحاب في السفر والمؤنس للواحد والجمع والحفدة أبناء الابن.

(٥) أي ما تترك ويروى ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٦) جماعة. (٧) علقت.

(٨) من نشج الباكي غصّ بالبكاء في حلقه، ويروى فأمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم الخ.

أبي دون آبائكم[١] وأخا ابن عمّي دون رجالكم فبلغ النذارة[٢] صادعاً بالرسالة[٣] مائلاً على مدرجة[٤] المشركين ضارباً لثجنهم[٥] آخذاً بكظمهم يهشم الأصنام وينكث الهام[٦] حتّى هزم الجمع وولّوا الدبر وتغرّى الليل عن صبحه[٧] وأسفر الحقّ عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق[٨] الشياطين [وتمّت كلمة الإخلاص] وكنتم على شفا[٩] حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان[١٠] وموطئ الأقدام، تشربون الطرق[١١] وتقتاتون الورق[١٢] أذلّة خاشعين[١٣] تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي وبعدما مني بهم[١٤] الرجال[١٥] وذؤبان العرب (ومردة أهل الكتاب)[١٦] كلّما حشوا[١٧] ناراً

---

(١) ويروى فإن تعزوه «أي تنسبوه» تجده أبي دون نسائكم.

(٢) الإنذار من أنذره حذّره وخوّفه في إبلاغه وصادعاً أي مجاهراً.

(٣) في الطرائف: فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة.

(٤) المدرج: المسلك. (٥) في الطرائف: بثجنهم.

(٦) الثبج وسط الشيء ومعظمه وما بين الكاهل إلى الظهر والكظم مخرج النفس أو الفم وينكث يروى في نسخة ويجذ والجذّ: القطع المستأصل، وتروى هذه الجملة في نسخة هكذا «ضارباً لثجهم يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذاً بأكظام المشركين يهشّم الأصنام ويفلق الهام» وقولها على الرواية الأولى ينكث الهام لعلّه ينكس الهام من نكسه قلبه على رأسه.

(٧) أي أسفر.

(٨) الشقاشق شقشقة شيء كالرئة يخرجه البعير من فمه إذا هاج.

(٩) حرف.

(١٠) المذقة الجرعة والنهزة الفرصة والقبسة ما تقبضه بيدك ـ تريد أنّهم كانوا ضعافاً مهانين يتخطّفهم الناس.

(١١) الطرق: الماء الذي خاضته الإبل وبالت فيه، ويروى: تقتاتون القد.

(١٢) في الطرائف: القذ. (١٣) خاسئين.

(١٤) في الطرائف: بهم.

(١٥) ويروى وبعد أن مني منهم الرجال الخ. وبهم الرجال شجعانهم جمع بهمة وذؤبان العرب لصوصهم ومردتهم.

(١٦) هكذا في بعض النسخ. (١٧) أوقدوا.

للحرب أطفأها ونجم قرن[١] للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ[٢] حتّى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها[٣] بحدّه مكدوداً[٤] في ذات الله قريباً من رسول الله سيّداً في أولياء الله وأنتم في بلهنية[٥] وادعون[٦] آمنون.

حتّى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلّة النفاق وسمل[٧] جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق[٨] المبطلين، فخطر في عرصاتكم[٩] وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه[١٠] صارخاً بكم فوجدكم[١١] لدعائه مستجيبين وللغرّة فيه ملاحظين[١٢] فاستنهضكم فوجدكم خفافاً وأجمشكم[١٣] فألفاكم غضاباً فوسمتم[١٤] غير إبلكم وأوردتموها غير شربكم[١٥].

هذا والعهد قريب والكلم[١٦] رحيب والجرح لمّا يندمل[١٧] بدار [إنما] زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا[١٨] وأنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين.

---

(١) نجم أي ظهر.
(٢) فغر فاه فتحه وأوسعه، واللهوات جمع اللها وهي أقصى الحلق، وينكفي يرجع.
(٣) ويروى يطفىء عادية لهبها بسيفه والصماخ داخل الأذان والأخمص اصبع القدم.
(٤) مكدوداً من كدّ جدّ وتعب.
(٥) البلهنية: غضاضة العيشة ونعيمها.
(٦) في الطرائف: زفاهية فكهون. (٧) أي خلق ورث.
(٨) الفنيق: الجمل البازل القوي.
(٩) العرصات: ساحات الدور.
(١٠) من رقدته يقال: هو غارز رأسه في سنة.
(١١) ويروى: «فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين».
(١٢) أي مغتّرين فيه. (١٣) ويروى: فأحنكم.
(١٤) من الوسم وهو العلامة.
(١٥) الشرب بالكسر مكان الشرب بالضمّ تريد أنّهم أخذوا ما ليس لهم واغتصبوا حقوق غيرهم.
(١٦) الجرح، ورحيب واسع.
(١٧) يلتئم.
(١٨) تشير إلى ما كان منهم عند وفاة النبيّ فإنّهم انصرفوا عن غسله إلى تنصيب خليفة عليهم يلي أمورهم بعد النبي ولم يشتغل بتكفينه إلّا آل البيت وآخرين معهم.

فهيهات منكم وأنّى بكم وأنّى تؤفكون[١] وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بيّنة وشواهده لائحة وأوامره واضحة، أرغبةً عنه تدبرون أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلاً ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثمّ لم تريثوا[٢] إلّا ريث أن تسكن نغرتها تشربون حسواً وتسرّون في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حزّ المدى وأنتم الآن تزعمون أنّ لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

ويهاً معشر المهاجرين أأبتزّ إرث أبي[٣] أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فريّا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون.

ثمّ انحرفت[٤] إلى قبر النبيّ ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[٥]

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا[٦] تغب[٧]

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم[٨].

---

(١) أنّى: كيف، والافك: أشنع الكذب.

(٢) تريثوا تبطئوا ويروى «لم تريثوا اختها الا ريث الخ»، ويروى: لم يلبثوا إلا ريث ـ أي لم تبطئوا عن منع الإرث عنّا إلّا ريثما تمّ لكم أمر الخلافة دوننا فبدأتم بهذه ولمنيتم بتلك.

(٣) ويروى: أيها المسلمة المهاجرة ابتز إرث أبي أباالله في الكتاب ياابن أبي قحافة ـ تريد أبا بكر الخليفة ـ أن ترث أباك ولا أرث أبي وفي رواية: ابتزّ إرث أبيه.

(٤) ويروى: ثمّ انكفأت أي رجعت.

(٥) الهنبثة: الأمور الشديدة والاختلاط في القول، والخطب: الخطوب أي الأمور العظيمة.

(٦) في الطرائف: فقد نكبوا.

(٧) الوابل المطر الغزير.

(٨) راجع الطرائف لابن طاووس: ١/ ٣٧٩، وشرح ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٤٩ ـ ٢٥١، والتذكرة الحمدونية: ٦/ ٢٥٥، ح٦٢٨، وعيون الأثر: ٢/ ٣٤٠، وبحار الأنوار: ٤٣/ ١٩٦، وكشف الغمّة: ٢/ ٤٨٠، وفاطمة الزهراء للعقّاد: ١٥٩.

وعن جعفر بن محمد رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال: حدّثني أبي، قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبدالله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد ابن علي رحمة الله عليه عن عمّته زينب بنت الحسين عليها السلام قالت: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمّة من قومها[١] تجرّ أذراعها[٢] ما تخرم[٣] من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً حتّى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء فلمّا سكنت فورتهم[٤] قالت: أبدأ بحمد الله ثمّ أسبلت بينها وبينهم سجفاً[٥] ثمّ قالت: الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها[٦] وإحسان منن والاها، جمّ[٧] عن الإحصاء عددها ونأى عن المجازاة أمدها[٨] وتفاوت[٩] عن الإدراك آمالها واستشن الشكر بفضائلها[١٠] واستحمد إلى الخلائق بأجزالها وثنى بالندب إلى أمثالها[١١].

وأشهد أن لا إله إلّا الله كلمة جعل الإخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها[١٢] وأنّى في الفكرة معقولها[١٣] الممتنع من الأبصار رؤيته ومن الأوهام الإحاطة به. إبتدع الأشياء لا من شيء قبله واحتذاها بلا مثال[١٤] لغير فائدة زادته إلّا

---

(١) سبق تفسير هذه الألفاظ اللغوية.
(٢) لعلّه أذيالها ويروى «أدراعها» ج درع ودرع المرأة قميصها.
(٣) ما تترك.
(٤) أي روعهم من البكاء.
(٥) أي أرخت ستراً.
(٦) سبوغ النعم اتساعها والإسداء الإحسان.
(٧) جم: كثر.
(٨) غايتها.
(٩) تباعد ما بينهما.
(١٠) يروى بأفضالها واستثنه استحقّه.
(١١) والندب من ندبه إلى الأمر دعاه وحثّه.
(١٢) موصول كلمة لا إله إلّا الله توحيده وخشيته.
(١٣) أنّى أي بلغ غايته.
(١٤) أي قدرها بلا شبيه.

إظهاراً لقدرته وتعبّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة[١] لعباده عن نقمته وجياشاً[٢] لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أن يجتبله[٣] واصطفاه قبل أن ابتعثه وسمّاه قبل أن استنجبه[٤] إذ الخلائق بالغيوب مكنونة وبستر الأهاويل[٥] مصونة وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله عزّوجلّ بمآيل الأمور[٦] وإحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواضع المقدور، ابتعثه الله تعالى عزّوجلّ إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء[٧] حكمه، فرأى الأمم فرقاً في أديانها عكّفاً[٨] على نيرانها عابدة لأوثانها منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله عزّوجلّ بمحمّد ﷺ ظلمها وفرّج عن القلوب بهمها[٩] وجلى عن الأبصار غمّها[١٠]، ثمّ قبض الله نبيّه ﷺ قبض رأفة واختيار رغبة بأبي ﷺ عن هذه الدار موضوع عنه العبء والأوزار، محتفّ[١١] بالملائكة الأبرار، ومجاورة الملك الجبّار ورضوان[١٢] الربّ الغفّار صلّى الله على محمّد نبي الرحمة وأمينه على وحيه وصفيّه من الخلائق ورضيّه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ أنتم عباد الله **(تريد أهل المجلس)** نصب أمر الله[١٣] ونهيه وحملة دينه ووحيه وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأمم، زعمتم حقّاً لكم الله فيكم عهد[١٤]

---

(١) أي دفعاً لهم. (٢) أي إقبالاً.
(٣) يخلقه.
(٤) ابتعثه أي أرسله بالنبوّة واستنجبه اختاره.
(٥) الأهاويل: جمع أهوال واحدها هول وهي المخافة من الأمر لا يدري وكأنّها صلّى الله عليها تكنّي بذلك عن حيرة الناس قبل ظهور نور النبوّة.
(٦) بمصيرها.
(٧) إنفاذ.
(٨) من عكف عليه أقبل عليه مواظباً.
(٩) شبهها. (١٠) ظلمها.
(١١) العبء: الثقل، محتفّ: محاط.
(١٢) رضاه. (١٣) أي مستقبلين له.
(١٤) أي زعمتم أنّ لكم حقّاً في الخلافة أو في منعنا الإرث فأين عهد الله لكم بذلك.

قدّمه إليكم ونحن بقيّة إستخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بيّنة بصائره[١] وآي فينا[٢] منكشفة سرائره، وبرهان منجلية ظواهره، مديم البرية أسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، فيه بيان حجج الله المنوّرة وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وتبيانه الجالية[٣] وجمله الكافية، وفضائله المندوبة[٤] ورخصه[٥] الموهوبة، وشرائعه المكتوبة. ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والزكاة تزبيداً في الرزق، والحجّ تسليةً للدين، والعدل تنسّكاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً، وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبّنا عزّاً للإسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقّناً للدماء[٦]، والوفاء بالنذر تعرّضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تعبيراً للنحسة[٧]، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المحصنات اجتناباً للعنة، وترك السرق إيجاباً للعفّة[٨]، وحرّم الله عزّوجلّ الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت: أيّها الناس أنا فاطمة وأبي محمّد ﷺ أقولها عوداً على بدء لقد جاءكم رسول من أنفسكم.

ثمّ ساق الكلام على ما رواه زيد بن علي ﷺ في رواية أبيه، ثمّ قالت في متّصل كلامها:

---

(١) حججه.
(٢) تشير إلى ما نزل في القرآن عناية بآل البيت ببيت النبيّ.
(٣) أي صفاحته المبيّنة.
(٤) المستحبّة.
(٥) وهو ما أباحه الشارع تيسيراً للناس.
(٦) تشير إلى قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب).
(٧) تعبيراً من عبر الدرهم أو المتاع نظر ما وزنها، والنحسة: مبلغ أصل الشيء.
(٨) لزوماً لها.

أفعلى عمدٍ[١] تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وقال الله عزّوجلّ فيما قصّ من خبر يحيى بن زكريا ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً﴾[٢] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وقال عزّ ذكره: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وزعمتم أن لا حقّ ولا إرث لي من أبي ولا رحم[٣] بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج نبيّه ﷺ منها، أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثون، أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة لعلّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ ﷺ ﴿أَمْ هُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصٍ وَعُمُومٍ﴾ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

أأغلب على إرثي جوراً وظلماً ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وذكر أنّها لمّا فرغت من كلام أبي بكر والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار فقالت: معشر البقية[٤] وأعضاد الملّة[٥] وحصون الإسلام ما هذه الغميزة[٦] في حقّي والسنة[٧] عن ظلامتي، أما قال رسول الله ﷺ: المرء يحفظ في ولده، سرعان[٨] ما أجدبتم فأكديتم وعجلان ذا إهانة[٩] تقولون: مات رسول الله ﷺ فخطب جليل استوسع وهيه[١٠] واستنهر فتقه[١١] وبَعُدَ وقته، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأبت

---

(١) أي من أجل ما تركه إرثاً لنا.
(٢) أي إبنا.
(٣) الرحم: القرابة.
(٤) المعشر الجماعة والبقية الفئة.
(٥) أنصارها.
(٦) من غمره في حقّه دفعه عنه.
(٧) السنة أوّل النوم ويروى بعدها أما كان لرسول الله أن يحفظ في ولده سرعان ما أجدبتم ويروى لسرع ما أحدثتم إلخ.
(٨) أي ما أسرعكم إلى كذا الخ، وأكديتم منعتم.
(٩) أي ما أعجلكم في إهانتكم إيّاي بما فعلتم معي.
(١٠) الوهي: الخرق الواسع.
(١١) استنهر: استوسع.

خيرة الله[١] لمصيبته، وخشعت الجبال وأكدت الآمال[٢] وأضيع الحريم وأذيلت الحرمة[٣] عند مماته ﷺ[٤] وتلك[٥] نازل علينا بها كتاب الله في أفنيتكم[٦] في ممساكم ومصبحكم يهتف بها في أسماعكم وقبله حلّت بأنبياء الله عزّوجلّ ورسله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

إيهاً بني قيلة أأهضم تراث أبيه[٧] وأنتم بمرأى ومسمع، تلبسكم الدعوة، وتمثلكم[٨] الحيرة، وفيكم العدد والعدّة، ولكم الدار، وعندكم الجن[٩]، وأنتم الألى نخبة الله التي انتخب لدينه، وأنصار رسوله وأهل الإسلام، والخيرة التي اختار لنا أهل البيت، فبادیتم العرب[١٠]، وناهضتم[١١] الأمم، وكافحتم البهم[١٢]، لا نبرح نأمركم وتأمرون[١٣] حتّى دارت لكم بنا رحا الإسلام، ودرّ حلب الأنام، وخضعت نعرة[١٤] الشرك، وباخت[١٥] نيران الحرب، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق[١٦] نظام الدين، فأنّى[١٧] حرتم بعد البيان، ونكصتم[١٨] بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان،

---

(١) اكتأبت: اغتمّت، وخيرة: الله أي الأفاضل عنده.
(٢) أي قلّ خيرها.
(٣) المهابة.
(٤) لعلّها تشير إلى ما فعلوه عند وفاته من الانصراف إلى أمر الخلافة وتركهم آل البيت يغسّلون النبي ويكفّنونه.
(٥) أي وفاته.
(٦) مجتمعاتكم أو دوركم.
(٧) إيهاً: كلمة إغراء، وبني قيلة: تريد الأوس والخزرج أنصار النبي، أأهضم: ويروى أأهتضم من هضمه غصبه أو ظلمه، والتراث: المبرّات، والهاء في (أبيه) هاء السكت، وفي البحار أبي.
(٨) تأكلكم.
(٩) الوقايات.
(١٠) جاهرتم بعداوتهم انتصاراً للنبي حين كذّبوه وآذوه.
(١١) قاومتم.
(١٢) في نسخة: بهمة، وهو الشجاع اليقظ.
(١٣) لعلّه وتأتمرون.
(١٤) النعرة الكبر والخيلاء.
(١٥) سكنت.
(١٦) اجتمع.
(١٧) كيف.
(١٨) أحجمتم.

[تعساً] لقوم نكثوا[١] إيمانهم أتخشوهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى أن أخلدتم إلى الخفض[٢] وركنتم إلى الدعة، فمجتم[٣] عن الدين، وبحجتم الذي وعيتم، ودسعتم[٤] الذي سوغتم[٥]، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌّ حميد.

ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة منّي بالخذلان الذي خامر[٦] صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة[٧] النفس، ونفثة[٨] الغيظ، وبثّة[٩] الصدر، ومعذرة[١٠] الحجّة، فدونكموها[١١] فاحتقبوها[١٢] مدبرة الظهر، ناكبة[١٣] الحقّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون[١٤].

قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم أنّ أبا العيناء ادّعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصحّحوه وكتبناه على ما فيه.

وحدّثني عبد الله بن أحمد العبدي عن حسين بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام: يا ابنة رسول الله لقد كان عليّ بالمؤمنين رؤوفاً

---

(١) نقضوا.
(٢) اطمأننتم إلى لين المعيشة.
(٣) ملتم.
(٤) منعتم.
(٥) أعطيتم.
(٦) خالط.
(٧) من فاض الماء كثر حتّى سال.
(٨) نفخة.
(٩) من البث وهو شكوى الحزن.
(١٠) إنصاف.
(١١) الضمير يرجع للأشياء التي هي من حقّ فاطمة وزوجها علي ومنعوها عنهما كالإرث والخلافة.
(١٢) ادخروها.
(١٣) مدبرة من الإدبار ضدّ الإقبال، وناكبة من نكبه نحّاه وأبعده.
(١٤) بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٤٥، ومواقف الشيعة: ١/ ٤٨٤.

رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً وإذا عزوناه[١] كان أباك دون النساء وأخا ابن عمّك[٢] دون الرجال آثره على كلّ حميم[٣] وساعده على الأمر العظيم[٤] لا يحبّكم إلّا العظيم السعادة ولا يبغضكم إلّا الرديء الولادة وأنتم عترة الله[٥] الطيّبون وخيرة الله المنتخبون، على الآخرة أدلّتنا وباب الجنّة لسالكنا.

وأمّا منعك ما سألت فلا ذلك لي[٦] وأمّا فدك[٧] وما جعل لك أبوك فإن منعتك فأنا ظالم، وأمّا الميراث فقد تعلمين أنّه صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما أبقيناه صدقة[٨].

قالت: إنّ الله يقول عن نبيّ من أنبيائه ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[٩] وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[١٠] فهذان نبيّان وقد علمت أنّ النبوّة لا تورث وإنّما يورث ما دونها، فما لي أمنع إرث أبي أأنزل الله في الكتاب إلّا فاطمة بنت محمّد فتدلّني عليه فأقنع به فقال: يا بنت رسول الله أنت عين الحجّة ومنطق الرسالة لا يد لي بجوابك[١١] ولا أدفعك عن صوابك ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك[١٢] هو الذي أخبرني بما تفقدت[١٣] وأنباني بما أخذت وتركت.

قالت: فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمرّ الحقّ والحمد لله إله الخلق.

قال أبو الفضل: ما وجدت هذا الحديث على التمام إلّا عند أبي حفان[١٤].

---

(١) نسبناه إلى أحد.
(٢) أي علي أمير المؤمنين.
(٣) أي فضله على كلّ قريب.
(٤) الجهاد في نصرة الدين.
(٥) أي أولياءه.
(٦) لعلّه يشير إلى تعريضها بالخلافة فإنّ ذلك ليس بيده بل الأمر شورى بين المسلمين.
(٧) سبق تفسيرها والمراد الميراث.
(٨) ويروى نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.
(٩) سورة مريم: ٦.
(١٠) سورة النمل: ١٦.
(١١) أي لا يحتجّ عليه.
(١٢) يريد علياً زوجها عليه السلام
(١٣) طلبت.
(١٤) بلاغات النساء: ٢٦ ـ ٣٣ كلام فاطمة، وراجع البحار: ٤٣/١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ح٨.

منع عمر أبا بكر من اعطاء فدك

عن أبان بن أبي عياش عنه عن سلمان وعبد الله بن العباس قالا: توفّي رسول الله ﷺ يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدّوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي برسول الله حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثم أقبل على تأليف القرآن وشغل عنهم بوصية رسول الله، فقال عمر لأبي بكر: يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته فابعث إليه، فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له: قنفذ، فقال: يا قنفذ إنطلق إلى علي فقل له: أجب خليفة رسول الله.

فبعثا مراراً وأبي عليٌّ أن يأتيهم فوثب عمر غضباناً ونادى خالد بن الوليد وقنفذاً فأمرهم أن يحملا حطباً ونار.

ثم أقبل حتى انتهى إلى باب عليٍّ وفاطمة ﷺ قاعدة خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله، فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب إفتح الباب، فقالت فاطمة ﷺ خلف الباب: ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟، قال: إفتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم، فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله تدخل على بيتي وتهجم على داري بغير إذني، فأبى أن ينصرف.

ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فدخل فاستقبلته فاطمة وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه، فرفع السوط فضرب به ذراعها ونادت: يا رسول الله بئس ما خلفك أبو بكر وعمر.

فوثب عليٌّ بن أبي طالب فأخذ بتلابيب عمر فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهمّ بقتله

فذكر قول رسول الله وما أوصاه به من الصبر والطاعة، فقال: والذي أكرم محمداً بالنبوة يا ابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي[١].

فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار فكاثروه وألقوا في عنقه حبلاً فحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت، وأنّ في عضدها كمثل الدّملج من ضربته لعنه الله، فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينها من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلّى الله عليها من ذلك شهيدة ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ: قال ابن عباس: ثم إن فاطمة بلغها أن أبا بكر قبض فدكاً، فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر أتريد أن تأخذ مني أرضاً جعلها لي رسول الله ﷺ؟.

فدعا أبو بكر بدواة ليكتب به لها فدخل عمر لعنه الله فقال: يا خليفة رسول الله لا تكتب لها حتى تقيم البيّنة بما تدّعي، فقالت فاطمة: عليٌّ وأم أيمن يشهدان بذلك.

فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تفصح، وأما علي فيجرّ النار إلى قرصته، فرجعت فاطمة مغتاظة فمرضت.

وكان علي يصلّي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ إلى أن ثقلت فسألا عنها وقالا: وقد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما، فقام فجلسا في الباب.

فدخل عليٌّ على فاطمة ﷺ فقال: أيّتها الحرّة فلان وفلان في الباب يريدان أن يسلّما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك والحرّة زوجتك وافعل ما تشاء، فقال: شدّي قناعك، فشدّت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا وسلما وقالا: إرضي عنّا رضي الله عنك، فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟

---

(١) الأمالي للصدوق: ١٧٦، والمختصر: ١١٠.

فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا، فقالت: إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فإنّي لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما، قالا: سلِ عما بدا لك، قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟

قالا: نعم، قال: فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إنّهما قد أذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما.

قال: فعند ذلك دعى أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً، فقال عمر له: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟

قال: فبقيت فاطمة بعد وفاة أبيها أربعين ليلة فلما اشتدّ بها الأمر دعت عليّاً وقالت: يا ابن عم، ما أراني إلا لما بي وإني أوصيك أن تتزوج بأمامة بنت أختي زينب تكون لولدي مثلي، واتخذ لي نعشاً فإنّي رأيت الملائكة يصفونه لي، وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ[1].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إنّ فاطمة عليها السلام لمّا أن كان من أمرهم ما كان أخذت بتلابيب عمر فجذبته إليها ثمّ قالت: أما والله يا ابن الخطّاب لولا أنّي أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت أنّي سأقسم على الله ثمّ أجده سريع الإجابة[2].

التلابيب جمع التلبيب وهو مافي موضع اللبب من ثياب الرجل تقول: أخذت بتلبيب فلان إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبضت عليه تجرُّه وكان ذلك حين مزق كتابها الذي كتبه أبو بكر في رد فدك إليها بعد إكمال الحجة عليه فآذاها.

ولمّا توفّيت أخرجها أمير المؤمنين عليه السلام إلى البقيع في الليل وصلّى عليها ودفنها بالروضة وأعمى موضع قبرها وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جدداً، ولمّا

(١) بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٠٤، واللمعة البيضاء: ٨٧٢.
(٢) الكافي: ١/ ٤٦٠ ح ٥، والبحار: ٢٨/ ٢٥٠ ح ٣٠.

علم المسلمون بوفاتها جاؤوا إلى البقيع فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور فضجّ الناس وتلاوموا وقالوا: لم يخلف نبيّكم فيكم إلّا بنتاً واحدةً تموت وتدفن ولم تحضروها ولا الصلاة عليها ولا تعرفوا قبرها.

فقال ولاة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتّى نجدها ونصلّي عليها.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً قد احمرّت عيناه وعليه قباء الأصفر الذي كان يلبسه في كلّ كريهة وهو متوكّل على سيفه ذي الفقار حتّى ورد البقيع فخاف الناس وقالوا: قد أقسم لئن حوّل من هذه القبور حجر ليضعنّ السيف فيكم، فتلقّاه عمر وأصحابه وقالوا: والله لننبشنّ قبرها ولنصلّينّ عليها فضرب عليّ عليه السلام إلى جوامع ثوبه فهزّه ثمّ ضرب به الأرض وقال له: يابن السوداء أمّا حقّي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم وأمّا قبر فاطمة فلئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم، فتلقّاه أبو بكر فقال: يا أبا الحسن بحقّ رسول الله إلّا خلّيت عنه فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه، فخلّى عنه وتفرّق الناس ولم يعودوا إلى ذلك[1].

(١) البحار: ٤٣/١٧٢ ح ١١.

دعاء فاطمة على أبي بكر وعمر في أمر فدك

عن الصادق عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة عليها السلام فأخرجه من فدك إلى أن ذكر شهادة علي عليه السلام وأمّ أيمن فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا علي فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة وقالت: اللّهمَّ إنّهما ظلما إبنة محمّد نبيّك حقّها، فاشدد وطأتك عليهما[1].

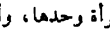

(١) الإختصاص: ١٨٤، واللمعة البيضاء: ٣١١.

دور فاطمة عليها السلام السياسي وشأنها الاجتماعي

تقدّم دور فاطمة في مكّة المكرّمة في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ودفاعها عنه ومساعدتها إيّاه في بداية الدعوة، وتقدّم مجيء أبو سفيان زعيم قريش آنذاك إليها لتجير في جميع قريش قبيل غزوة فتح مكّة، ورفضها لذلك، مع معرفتها أنّها لو أجارت بين الناس في مكّة لأخذت سيادة النساء والرجال في مكّة ولكان حديث الناس فيها، ولوافق عليه النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّها بضعته والناطقة عنه كما تقدّم، ولكنّها لوعيها السياسي ومعرفتها بآثار ذلك رفضت أن تجير بين أهل مكّة، كما ورفضت أن يجير الحسن والحسين عليهما السلام.

ـ وقد شاركت في كثير من الحروب والغزوات كما تقدّم، وشاركت في بيعة النساء، وفي مباهلة النصارى ذلك الموقف الذي كان يمثّل الإسلام والمسلمين فخرجت مع أبيها وبعلها وبنيها منتصرة، وهكذا في كثير من الآيات[1].

ـ وكانت من الأوائل الذين دعاهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإسلام كما في الحديث المتّفق عليه عند المؤرّخين عند نزول آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من النار... يا بني عبد مناف يا عبّاس بن عبد المطّلب.. يا صفيّة عمّة رسول الله... يا فاطمة بنت محمّد...»[3].

هذا بعض ما كان في حياة النبي صلى الله عليه وآله.

أمّا ما كان بعد وفاته صلى الله عليه وآله:

(١) كآية المودّة والتطهير.... (٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٣) شرح الأخبار: ٢/٢٣٨ ح٥٤٦، وذخائر العقبى: ٨.

بكاء فاطمة عليها السلام ثورة

بعد وفاة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله حزنت الزهراء حزناً شديداً وبكت بكاءً كثيراً وقالت فيما روي عنها: **يا أبتاه بقيت والهة وحيدة وحيرانة فريدة فقد انخمد صوتي وانقطع ظهري وتنغّص عيشي وتكدّر دهري... يا أبتاه انقطعت بك الدُّنيا بأنوارها، وزوت زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة فقد اسودّ نهارها... فأيّ دمعة لفراقك لا تنهمل وأيّ حزن بعدك عليك لا يتّصل وأيّ جفن بعدك بالنوم يكتحل.**(١)..

ثمّ إنّ من خلال استدامة بكائها وحزنها وخروجها من بيتها إلى القبر الشريف للبكاء أو زيارة القبر الشريف، فيه تجديد العهد بالنبيّ الكريم وتذكير به وبأقواله وأفعاله، خاصّة بملاحظة أنّ القبر الشريف في المسجد، مسجد الخلافة ومقرّ تجمّع الخليفة الأوّل والثاني.

فعندما يريد الخليفة الأوّل أن يجتمع برعيّته أو يخطب بهم أو يستقبل وفود البلاد والمعزّين أو يتلقّى التهنئة بالخلافة الجديدة، سوف يرى هؤلاء جميعاً إبنة صاحب هذا الدين التي كانت عزيزة عليه شاركته في الدعوة والجهاد والمهمّات، سوف يرونها تبكي وتصرّح بكلام مخالف للقوم ولخلافتهم المزعومة، فكان هذا الحزن والبكاء ثورة هادئة صامتة، لذا انزعج القوم من بكائها وطلب من عليّ بن أبي طالب أن تقلّل من حزنها أو تبكي ليلاً أو نهاراً، أو تمتنع عن ذلك، فبنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً صغيراً يعرف ببيت الأحزان.

وكانت عليها السلام أثناء بثّ حزنها تطالب بحقّها وحقّ الأمير عليه السلام في الخلافة، من ذلك قولها: ... يا أبتاه مَن للأرامل والمساكين، ومن للُأمّة إلى يوم الدين، يا أبتاه

(١) راجع بحار الأنوار ٤٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت الناس عنّا معرضين... فأيّ دمعة لفراقك لا تنهمل.. فوا أسفاه عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك وأنكل أبو الحسن المؤتمن، أخوك ووليّك، وأحلى أحبّائك وأصحابك إليك من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصراً..

وأنشأت تقول:

وبكاك الإسلام إذ صار في النا ... س غريباً من سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت تعلو ... ه علاه الظلام بعد الضياء

كلّ ذلك كان في المسجد قرب القبر الشريف والناس تسمع البكاء[1].

وممّا قالته قبل وفاتها:

إبكني وابكِ للبتامى ولا تنس ... قتيل العدى بطفّ العراقي
فارقوا فأصبحوا يتامى حيارى ... يحلف الله فهو يوم الفراق[2]

فتأمّل كلمات الزهراء وتذكيرهم بمهمّة النبيّ ﷺ وأعماله وسيرته، وكلامها حول إعراض الناس عنهم، وتذكيرهم أنّ أحبّ الناس للنبي عليّ ﷺ وهو وليّه وناصره، وتصريحها أنّ منبر الرسول ﷺ علاه الظلمة.

وتذكير الأمير بقتيل الطفّ في كربلاء للإشارة إلى أنّ ما حصل في السقيفة سوف يؤدّي إلى استخلاف يزيد وقتل الحسين ﷺ كما قال الشاعر:

لولا اعتداء رعية ... ألقى سياستها الخليفة
لنشرت من أسرار آل ... محمّد جملاً طريفة
وأريتكم أنّ الحسين ... أصيب في يوم السقيفة[3]

وتقدّم في خطبتها التصريح في كلّ ذلك، وأنّهم غصبوا حقّها في فدك والعوالي

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٣) بيت الأحزان: ١٨٧، والبحار: ٤٣/ ١٩٠.

وحقّ علي في الخلافة، وأنّهم لا أهليّة لهم لقيادة الأُمّة لأنّهم لا علم لهم ولا حكمة ولا دين ولا فضل.

فتأمّل في قولها: «ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوّة ومهبط الوحي الأمين والطبين[١] بأمر الدُّنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه وشدّة وطئه ونكال وقعته وتنمّره في ذات الله عزّوجلّ... استبدلوا الذنابى والله بالقوادم والعجز بالكاهل...»[٢].

وهكذا فيما يأتي من مطالبتها بفدك[٣] كمورد مالي قوي فيه ضغط على حكومة الخليفة الأوّل في بداية خلافته وقبل بسط يده.

قال الإمام الكاظم في حدود فدك: حدّها الأوّل عرش مصر، والحدّ الثاني دوحة الجندل[٤]، والحدّ الثالث تيما، والحدّ الرابع جبال أُحد من المدينة[٥].

وفي رواية: الحدّ الأوّل عدن والثاني سمرقند والثالث إفريقيا والرابع سيف البحر[٦].

وهذا يعني أنّ المطالبة بفدك مطالبة بالخلافة فتأمل.

(١) الطبين: الحاذق الفطن العالم بكل شيء.
(٢) راجع البحار: ٤٣/١٥٨ ح٨ ودلائل الإمامة: ١٢٦.
(٣) فدك وغيرها كالعوالي.
(٤) قرب دمشق.
(٥) الطرائف: ٢٥٢ ح٣٥٠.
(٦) البحار: ٤٨/١٤٤ ح٢٠.

دفاع فاطمة عن خلافة علي عليه السلام

خلافة الله تعالى وخليفته في الأرض ظلّه الذي يستظلّ به الناس فيحميهم ويدافع عنهم ويحكم فيهم بما يريه الله تعالى، وحماية هذه الخلافة والدفاع عن الخليفة مسؤولية الجميع وواجب إلهي عن الأمّة، وكانت فاطمة بنت محمّد دوماً المدافع الأوّل عن خلافة الله في الأرض في زمن أبيها واستمرّت على ذلك إلى زمن بعلها عليه السلام. فعندما فوجئت بتكالب القوم على الخلافة وأبيها لم يدفن بعد، بل نسوا أنّه توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله كما قالت عائشة: «ما علمنا [شعرنا] بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل»[1].

عرفوا بعد الإنتهاء من الدفن الشريف. حزنت حزنين حزن على وفاة أبيها وحزن على إعراض القوم عن بدنه الشريف، فخرجت تدور على بيوت الأنصار تذكّرهم بفضائل علي وسوابقه ونصوص النبيّ صلى الله عليه وآله عليه ولكن دون جدوى، وغاية ما قالوا: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أنّ زوجك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فقال علي عليه السلام: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟!

فقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم،...

لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا

(١) المصنّف لعبد الرزاق: ٣/ ٥٢٠ ح٦٥٥١، والمصنّف لابن أبي شيبة: ٣/ ٢٢٨ ح١٦.

وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً...»[١].

وتقدّم في خطبتها ما يصرّح بذلك فراجعه.

هكذا يجب أن تكون المرأة المسلمة تدافع عن خلافة الله وولايته، وتحمي حمى الإسلام والمسلمين، تعمل من أجل ذلك وتعلّم من لا يعرف، وتربّي أولادها على ذلك، خاصّة في هذه الأزمنة، أزمنة البُعد عن الخلافة الحقيقيّة وآثارها، أزمنة تناسي العالَم للخلفاء الربّانيّين، وبُعْده عن صاحب الولاية ومقام الخلافة القائم المنتظر أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

فعلى كلّ امرأة أن تعيش هذا الهمّ والمسؤولية وتعيّشه لأبنائها وأخواتها، تعرّفهم معنى الخلافة والولاية وأثرها على الأمّة جمعاء في ظلّ حكومتها[٢].

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/ ٢٩ ـ ٣٠ بيعة أبي بكر.

(٢) قد فصّلنا معنى الولاية في عصر الغيبة في كتابنا «ولاية الفقيه الدستور الإلهي للمسلمين» ط. دار الهادي بيروت.

خطاب فاطمة عليها السلام الإجتماعي وأثره

عن هارون بن مسلم بن سعدان عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي قال: لمّا مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفّيت بها دخل النساء عليها فقلن: كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله؟

قالت: أصبحت والله عائفة[١] لدنياكم، قالية[٢] لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم[٣]، وشنأتهم بعد أن سبرتهم[٤]، فقبحاً لفلول الحدّ[٥]، وخور القنا[٦]، وخطل الرأي[٧]، وبئسما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. لا جرم[٨] لقد قلّدتهم ربقتها[٩] وشنّت[١٠] عليهم عارها، فجدعاً وعقراً[١١] وبُعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوّة ومهبط الروح الأمين الطبن[١٢] بأمور الدُّنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا[١٣] من

---

(١) كارهة.
(٢) مبغضة.
(٣) بلوتهم بعد أن جرّبتهم.
(٤) أبغضتهم بعد أن اختبرتهم.
(٥) ثلمه.
(٦) ضعفه أو كسره.
(٧) فساده.
(٨) أصله لابدّ أو لا محالة ثمّ كثر استعماله حتّى تحوّل إلى معنى القسم.
(٩) أي مسؤوليتها والضمير راجع للخلافة.
(١٠) صبّت.
(١١) الجدع: قطع الأنف، والعقر: ضرب قوائم البعير بأسيف ونحوه. والجملة دعاء على من أرادت.
(١٢) تريد كيف زحزحوها عن آل بيت النبي أو بالأحرى عن علي الطبن بأمور الدّنيا والدين أي الخبير بها.
(١٣) كرهوا.

أبي الحسن نقموا والله منه نكير[١] سيفه وشدّة وطأته ونكال[٢] وقعته وتنمّره في ذات الله[٣] وبالله لو تكافؤوا[٤] على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سجحاً[٥] لا يكلّم خشاشة[٦] ولا يتعتع[٧] راكبه، ولأوردهم منهلاً رويّاً فضفاضاً[٨] تطفح ضفّتاه، ولأصدرهم بطاناً[٩] قد تحرّى بهم الري غير متجل منهم بطائل، بعمله الباهر وردعه سورة الساغب[١٠] ولفتحت عليهم بركات من السماء وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا هلمن[١١] فأسمعن وما عشتن أراكنّ الدهر عجباً إلى أيّ لجأ لجأوا وأسندوا وبأيّ عروة تمسّكوا[١٢] ولبئس المولى[١٣] ولبئس العشير، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم[١٤] والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم[١٥] ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ

---

(١) شديد.

(٢) من التنكيل.

(٣) أي غضبه لله.

(٤) استروا.

(٥) سجحا: سهلاً، ويروى: لو تكافؤوا على زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتقله ولسار بهم سيراً سجحاً.

(٦) لا يجرح جانبه، والخشاش: عود يجعل في أنف البعير يشدّ به الزمام.

(٧) أي من غير أن يصيبه أذى، ومنه الحديث الشريف «يوخذ للضعيف حقّه غير متعتع».

(٨) يفيض منه الماء.

(٩) أي شبعانين.

(١٠) حدة الجائع.

(١١) تعال مركّبة من هاء التنبيه ومن لم أي ضمّ نفسك إليها والنون فيها هنا نون النسوة.

(١٢) عروة الكوز أو الدلو مقبضه مستعارة هنا.

(١٣) الصاحب والجار.

(١٤) الذنابي: الذنب، والقوادم: ريش في مقدّم الجناح، والمراد أنّهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، والعجز: مؤخّر الشيء، والكاهل: مقدّم الظهر.

(١٥) أي ذلاً لأنوفهم، مجاز عن ذلّ أنفسهم.

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ[١] فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أما لعمر الهكن[٢] لقد لقّحت فنظرة ريثما تنتج ثمّ احتلبوا[٣] طلاع القعب[٤] دماً عبيطاً[٥] وذعافاً ممقراً[٦] هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب[٧] ما أسّس الأوّلون ثمّ أطيبوا[٨] عن أنفسكم نفساً وطامنوا للفتنة جأشاً[٩] وابشروا بسيف صارم وبقرح شامل[١٠] واستبداد من الظالم يدع فيكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرةً لكم وأنّى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون. ثمّ أمسكت عليها السلام[١١].

لقد ترك هذا الخطاب النوراني أثراً كبيراً على مجتمع قريش وأهل المدينة ومن وصله كلامها عليها السلام، بل لهذا الكلام البليغ الأثر الكبير على كل مجتمع حتى تاريخنا الحاضر.

إن كلام مولتنا فاطمة عليها السلام أعاد التذكير ببعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومجمل تعاليم الإسلام خاصة المنسية منها أو المتروكة عمداً ولمصالح شخصية، دخل هذا الكلام إلى قلوب الرجال والنساء قبل أن يدخل إلى أذانهم لما فيه من المنطق الصائب والحجة القوية.

---

(١) المراد أنّه لا يهدي الإنسان غيره إلّا إذا كان مهدياً وإلّا فكيف يعطي الشيء فاقده.

(٢) أي أما وحق بقائه.

(٣) لقحت: حبلت، والنظرة: التأخير في الأمر، وربث: أي مقدار، وتنتج: تلد.

(٤) أي ملؤه.

(٥) طريا.

(٦) يروى: وزعافا، ويقال: سم ذعاف، أي معجل إلى الموت، والممقر: المرّ.

(٧) أي عاقبة ويروى «عين ما أسّس الأوّلون».

(٨) طيبوا.

(٩) نفساً.

(١٠) القرح الدمل كناية عن فساد الأمور ويروى «بهرج شامل».

(١١) بلاغات النساء: ٢٦ ـ ٣٣ كلام فاطمة، وراجع البحار: ٤٣/١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ح٨.

جهاد فاطمة عليها السلام

كنت فاطمة بنت محمّد صلوات الرحمن عليها من النساء المجاهدات في سبيل الله تعالى منذ بدء الدعوة الإسلامية في مكّة المكرّمة، ثمّ جهادها وصبرها في شعب أبي طالب، ثمّ في هجرتها إلى المدينة لتنطلق منها إلى ساحات المعركة فشاركت في معركة أُحد بما يتناسب مع جهاد النساء، وشاركت في معركة الخندق وشاركت في الحديبية وأخيراً كان الحنين إلى الوطن إلى قبلة المسلمين مكة، فمنحها الله شرف المشاركة في نصر الله والفتح فدخلت في دين الله الجديد فسبّحت بحمد ربّها واستغفرته إنّه كان توّاباً رحيماً.

هذه أهمّ الحروب التي خاضها النبيّ صلى الله عليه وآله فكانت فاطمة إلى جانب أبيها وبعلها عليهما السلام.

ثمّ ما زالت في طاعة الله وعبادته والدفاع عن الإسلام المحمّدي حتّى قضت نحبها شهيدة مظلومة في سبيل الله والدفاع عن دين أبيها وخلافته.

فسلامُ الله عليها حين كانت حول عرش ربّها وحين كانت في بطن أُمّها وحين ولدت وحين عاشت وحين استشهدت وحين تُبعث حيّة.

■ ■ ■

فاطمة عليها السلام في مكّة

كانت في بداية الدعوة الإسلامية إلى جانب النبيّ ﷺ هي وابن عمّها علي وخديجة أُمّها، فسرعان ما توفّيت أُمّها خديجة عليها السلام فكانت الوحيدة المسؤولة عن رعاية أُمور النبيّ ﷺ في مكّة، فكانت عينه التي تأتيه بالأخبار التي تُحاك ضدّه، فروى سعيد بن منصور عن ابن عبّاس أنّ قريشاً عندما تعاهدت باللاّت والعزّى ومناة الثالثة ليقتلن محمّداً بلغ ذلك فاطمة فجاءت وأخبرت النبيّ ﷺ به فدعا بماء فتوضّأ وخرج إليهم، وقال: شاهت الوجوه، ورماهم بالحصى فمن أصابته قتل يوم أُحد[1].

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/ ٣٠٥ ح٢٨٤٧.

فاطمة عليها السلام في الشعب

ثمّ لمّا اجتمعت قريش لتحاصر النبي وأصحابه لا نشتري منهم ولا نبيعهم قرّر النبيّ ﷺ دخول الشعب ـ شعب أبي طالب ـ فدخل النبيّ ﷺ والمسلمون ومعهم فاطمة إلى الشعب فعاشوا فيه مدّة ثلاث سنين في جهاد وحصار إقتصادي وسياسي لا طعام ولا شراب إلّا ما يسدّ رمقهم ويبقيهم على الحياة، فكانت فاطمة عليها السلام كبقيّة المسلمين تربط الحجر على بطنها من شدّة الجوع، واستمرّ ذلك حتى فرّج الله عليهم بنقض صحيفة قريش كما هو معروف في كتب التاريخ.

هجرة فاطمة عليها السلام

لمّا هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة لم يدخلها منتظراً عليّاً وفاطمة بنت أسد وفاطمة ابنته عليها السلام، فبقي بقباء حتّى جاءت فاطمة، وفي تفاصيل هجرتها أنّ عليّاً سار بالنسوة وهو يقول:

ليس إلّا الله فارفع ظنكا ... يكفيك ربّ الناس ما أهمّكا

وعندما وصلوا إلى ضحنان أدركهم فرسان قريش فقصدوا النسوة فحال علي بينهما وتصدّى لهم فقتل فارساً منهم مع فرسه وهجم على البقيّة وهو يرتجز:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد ... أليت لا أعبد غير الواحد

فتفرّق القوم هرباً، فتابعوا السير يذكرون الله في مسيرهم ويعبدونه حتّى قدموا قباء وقد نزلت بهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[2].

فاستقبلهم النبيّ صلى الله عليه وآله في قباء ودخلوا المدينة سويّاً فنزلت فاطمة عليها السلام عند أمّ أيّوب الأنصارية منزلاً كريماً[3].

■ ■ ■

(١) سورة آل عمران: ١٩١. (٢) سورة آل عمران: ١٩٥.
(٣) راجع فاطمة الزهراء لتوفيق: ١٠٥ ـ ١٠٧.

فاطمة عليها السلام في أُحد

قال الواقدي: قالوا: وخرجت فاطمة ـ إلى أُحد ـ في نساء وقد رأت الذي بوجهه ﷺ فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: اشتدّ غضب الله على قوم أدموا وجه رسوله، وذهب علي عليه السلام يأتي بماء من المهراس، وقال لفاطمة: أمسكي هذا السيف غير ذميم. فأتى بماء في مجنّة، فأراد رسول الله ﷺ أن يشرب منه وكان قد عطش، فلم يستطع، وغسلت فاطمة الدم عن أبيها، وكن قد جئن أربع عشرة امرأة، منهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ يحملن الطعام والشراب على ظهورهنّ، ويسقين الجرحى ويداوينهم. فلمّا رأت فاطمة الدم لا يرقأ ـ وهي تغسل الدم، وعلي عليه السلام يصبّ الماء عليها بالمجن، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتّى صار رماداً، ثمّ ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

ويقال: إنّها داوته بصوفة محترقة[1].

(١) كتاب المغازي: ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠ غزوة أحد ط. دار المعارف، مصر ١٩٦٤.

فاطمة عليها السلام في حرب الخندق

فروي عن علي عليه السلام قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟

قالت: من قرص اختبزته لابنيّ جئتك منه بهذه الكسرة.

فقال: يا بنية أمّا إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام[1].

أقول: إذا سقط الجهاد عن النساء فلم يسقط عنهم مساندة المجاهدين ودعمهم والوقوف إلى جانبهم، وإن خير من وقف إلى جانب المجاهدين في سبيل الله فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) فاطمة الزهراء لتوفيق: ١٣٠.

فاطمة عليها السلام في فتح مكّة

وكان خاتمة جهاد فاطمة إلى جانب أبيها في فتح مكّة، وذلك بعد نقض قريش لصلح الحديبية جاء أبو سفيان إلى المدينة لمّا سمع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سوف يدخل مكّة فلم يجده، فدخل على الصدُيقة الزهراء فاطمة قائلاً: أجيري بين الناس! فقالت: إنّما أنا امرأة، قال: إنّ جوارك جائز، قد أجارت أُختك أبا العاص بن الربيع فأجاز ذلك محمّد صلى الله عليه وآله.

قالت فاطمة: ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبت ذلك عليه.

فقال: مُري أحد بنيك يجير بين الناس...، فأبت عليه[1].

فسار النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ونساؤه ومعه فاطمة المجاهدة متوجّهين إلى مكّة القبلة المكرّمة لفتحها، فدخلوها منتصرين محلّقين رؤوسهم كما وعدهم النبيّ صلى الله عليه وآله.

(١) راجع كتاب المغازي للواقدي: ٢/ ٧٩٣ شأن غزوة الفتح.

فاطمة عليها السلام الداعية إلى سبيل الله

امتازت شخصية الزهراء بأنّها شخصية جامعة لكلّ شؤون الحياة، فهي الطاهرة المحدّثة صاحبة الكرامات، البنت البارّة والزوجة الصالحة والأُمّ الحنونة والمربّية العالمة العابدة المجاهدة الشهيدة.

وهي صاحبة القرار السياسي الحكيم والإجتماعي المناسب كما يأتي، وهي التي لاتأخذها في دين الله لومة لائم، هكذا تكون المرأة المسلمة جامعة كاملة لا يفوتها من الكمال شيءٌ، ولا تترك واجباتها.

فاطمة عليها السلام تحدّ جاريتها

لم تكن فاطمة لتحابي في دين الله تعالى، ولم تكن لتسكت عن انتهاك أيّ شخص لحدود الله حتّى لو كان ذلك الشخص من أتباعها أو محبّيها، يحدّثنا التاريخ[١] أنّ جارية لفاطمة عليها السلام انتهكت بعض الأحكام الشرعية فقامت فاطمة بنت محمّد وحدّتها، التزاماً بتعاليم الله وتنفيذاً لأحكامه، لأنّها إبنة النبيّ صلى الله عليه وآله الذي أُنزل عليه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢].

من ذلك نستفيد أنّ النساء لابدّ وأن يكون لهنّ دورٌ مهمٌ في المجتمع، من أجل إحياء شعائر الله تعالى، وتنفيذ أحكامه، يسعون في المجتمع لتوعية أفراده وتعليم أجياله وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزرع التوعية الإسلامية في نفوسهم، وطرد الثقافة الغربية من وجدانهم، التي أصبحت تسيطر على كيانهم.

لابدّ للنساء العمل من أجل زرع تنفيذ الأحكام الإسلامية في أذهان الصغار، لكي ينشأوا على مجتمع إسلامي يؤمن بوجوب إقامة حكومة إسلامية على أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإلّا تكون المرأة قد تخلت عن إنتسابها إلى بضعة المصطفى وعن دينه صلى الله عليه وآله

القائل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

■ ■ ■

(١) راجع المصنّف لابن أبي شيبة: ٥/ ٨٨ ح٢٨٢٦٩.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

فاطمة عليها السلام تعلّم النساء والرجال

قال أبو محمّد العسكري عليه السلام : حضرت امرأة عند الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثنّت فأجابت ثمّ ثلّثت إلى أن عشّرت فأجابت ثمّ خجلت من الكثرة فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله.

قالت فاطمة: هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا.

فقالت: اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّوجلّ: أيّها الكافلون لأيتام آل محمّد صلى الله عليه وآله، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمّتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخعلوا عليهم خلع العلوم في الدُّنيا، فيخلعون على كلّ واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتّى أنّ فيهم ـ يعني في الأيتام ـ لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم، ثمّ إنّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم، وتضعفوها لهم فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممّن خلع على من يليهم.

وقالت فاطمة عليها السلام : يا أمّة الله إنّ سلكة من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة وما فضل فإنّه مشوب بالتنغيص والكدر.

بيان: نعشه أي رفعه. ويقال: ينغص الله عليه العيش أي كدّره[١].

وقال ابن مسعود: جاء رجل إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت رسول الله، هل ترك رسول الله شيئاً تطرفينيه؟

فقالت: يا جارية هاتي تلك الجريدة، فطلبتها فلم تجدها فقالت: ويحك اطلبيها فإنّها تعدل عندي حسناً أو حسيناً، فطلبتها فإذا هي: قال محمّد صلى الله عليه وآله: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت، إنّ الله عزّوجلّ يحبّ الحليم المتعفّف ويبغض الفاحش السآل الملحف، إنّ الحياء من الإيمان والإيمان من الجنّة وإنّ الفحش من البذاء والبذاء في النار[٢].

■ ■ ■

(١) بحار الأنوار: ٢/٣ ح٣.

(٢) التذكرة الحمدونية: ٢/٢٢٩ ح٥٦٧ الباب الرابع.

فاطمة عليها السلام تقضي بين النساء

وعن أبي محمّد عليه السلام، قال: قالت فاطمة عليها السلام ـ وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأُخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجّتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً ـ فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها أشدّ من حزنها، وإنّ الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ممّا كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنّة في كلّ من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معدّاً له من الجنان[1].

وعن محمّد بن محمّد بن الأشعث قال: حدّثني موسى بن إسماعيل حدّثنا أبي عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين [عن أبيه عن جدّه عليّ عليهم السلام] أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذن عليها أعمى فحَجَبَتْهُ فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: لِمَ حَجَبْتِيه وهو لا يراك؟ فقالت: يارسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يَشمّ الرّيح.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أشهد أنّك بضعةٌ مِنّي[2].

وبإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليهما دخل عليها عليّ عليه السلام وبه كآبةٌ شديدة فقالت: ما هذه الكآبة؟ فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسألة لم يكن عندنا لها جواب، فقالت: وما المسألة؟

---

(١) الإحتجاج: ١/ ١١، والبحار: ٨/٢ ح ١٥، وتفسير الإمام العسكري: ٣٤٧ ح ٢٢٩.

(٢) أخرجه السيد فضل الله الراوندي في كتاب النوادر ص١٤ بهذا السند واللفظ.

قال: سألنا عن المرأة ما هي؟ قلنا: عورة، قال: فمتى تكون أدنى من ربّها فلم ندرِ [ما نقول؟]

قالت: إرجع إليه فأعلمه أنّ أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قَعْرَ بيتها، فانطلق فأخبر النبيّ ﷺ فقال: هذا من تِلقاء نفسك يا عليّ، فأخبره أنّ فاطمة عليها السلام أخبرته، فقال ﷺ: صَدَقْتَ إنّ فاطمة بضعة منّي[1].

وفي روض الأفكار: جاءت فاطمة عليها السلام تطلب شيئاً من النبيّ ﷺ، فقال لها: **«والذي نفسي بيده، ما اقتبس آل محمّد ناراً منذ ثلاثين يوماً، ألا أعلّمك خمس كلمات علمنيهنّ جبريل؟ قالت: نعم، قال: قولي: يا أوّل الأوّلين ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوّة المتين، ويا أرحم الراحمين، أغنِنا واقضِ حاجتنا»**[2].

وقالت فاطمة عليها السلام: رغّب النبيّ ﷺ في الجهاد، وذكر فضله، فسألته الجهاد فقال: ألا أدلّك على شيء يسير وأجره كبير، ما من مؤمن ولا مؤمنة يسجد عقب الوتر سجدتين ويقول في كلّ سجدة: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، خمس مرّات لا يرفع رأسه حتّى يغفر الله ذنوبه كلّها، واستجاب الله دعاءه وإن مات في ليلته مات شهيداً[3].

وقالت السيّدة الزهراء عليها السلام لسلمان: إن أردت أن تلقى الله عزّوجلّ وهو عليك غير غضبان فواظب على هذا الدعاء وهو: **«بسم الله الرحمن الرحيم، باسم الله النور، باسم الله الذي يقول للشيء كُن فيكون، باسم الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، باسم الله الذي خلق النور من النور، باسم الله الذي هو بالمعروف**

---

(١) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٤٠ عن أنس وعن سعيد بن المسيب عن علي عليه السلام ولفظه **«فقالت: هلّا قلت خير لهنّ أن لا يرين الرجال ولا يرونهنّ»** وهكذا أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين ٦٣ وابن الأثير في مناقب الأخيار: ٥٦ والذهبي في الكبائر: ٧١، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٢ و: ٤/ ٢٥٥ قال رواه البزار.

(٢) الدعوات للراوندي: ٤٨.

(٣) صحيفة الزهراء: ٤٦.

مذكور، باسم الله الذي أنزل النور على السطور، بقدر مقدور في كتاب مسطور على نبيٍّ محبور»[١].

ومن دعاء علّمته ولدها الحسن عليه السلام: «الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه» ثمّ يسأل الله عزّوجلّ ما يريد[٢].

هذه فاطمة العالمة والمعلّمة، عُلّمت من الله ورسوله، فعملت بما تعلّمت، وعلّمت ما تعلّمت إلى نساء زمانها، لم تجلس في بيتها وتترك نساء المسلمين محتاجين إلى من يفقّههم، بل كانت تقصدهم لتعلّمهن الإسلام وأحكامه، أو تجلس في مسجدها لتأتي النساء إليها فيتعلّمن ما يجهلنه، ويتقاضون عندها فتحكم بينهن، وتحلّ مشاكلهن.

هكذا يجب أن تكون النساء اللآتي يقتدين بفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، يبحثن عن ضالّة المؤمنات فيأخذونها أينما وجدوها، يتعلّمن الأحكام الشرعية والتعاليم الإسلامية ـ الأخلاق والأدب والفقه والسياسة وعلم النفس وعلم الإجتماع ـ يتعلّمن ذلك ليخرجن من الجهل إلى نور العلم «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[٣]، وليَعمَلن بما عَلِمنَ لزيادة الثواب والقرب من الله تعالى.

ومن ثمّ ينتشرن بين نساء فاطمة ليعلّموهن ما تعلّمن، وفي ذلك ثواب من الله عظيم كما تقدّم عن فاطمة عليها السلام للمرأة التي جاءت تسألها.

(١) دلائل الإمامة: ١٠٨ ح ٣٥.

(٢) فاطمة الزهراء لتوفيق: ٢١٤.

(٣) راجع تفسير القرآن للسيّد مصطفى الخميني: ١/ ٣٨٩، والبحار: ١/ ٢٢٤.

الجنّة حرام على مَنْ ظلم فاطمة عليها السلام

قال رسول الله ﷺ: يا سلمان ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها علياً عليه السلام وويل لمن يظلم شيعتها وذريتها[١].

وقال رسول الله ﷺ: «حُرّمت الجنّة على مَنْ ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي».

أخرجه القرشي عن عليّ والزمخشري والمحبّ الطبري[٢][٣].

وله شاهد من حديث عليّ: «اشتدّ غضب الله على مَنْ آذاني في عترتي»[٤].

(١) مائة منقبة: ١٢٧ المنقبة ٦١.

(٢) مسند شمس الأخبار: ١/ ١٢٢، وتفسير الكشّاف: ٣/ ٤٦٧، مورد آية المودّة.

(٣) ذخائر العقبى: ٢٠، بلفظك إنّ الله حرّم الجنّة.

(٤) كنز العمّال: ١٠/ ٤٣٥، ح ٣٠٠٥٠، و١٢/ ١٠٣، ح ٣٤١٩٧، وذخائر العقبى: ٣٩.

فاطمة عليها السلام تقدّم الآخرة على الدُّنيا

هذه صفة فاطمة وأهل بيتها، وهذا ما أخبر به الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أما علمت أنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا[1].

وعن جابر قال: دخل النبيّ صلى الله عليه وآله على فاطمة وهي تبكي وتطحن بالرحى وعليها كساء من أجلّة الإبل فلمّا رآها بكى وقال لها: يا فاطمة يا فاطمة تجرّعي مرارة الدُّنيا لنعيم الآخرة غداً[2].

وتقدّم في تسبيح فاطمة عليها السلام رضاها بدل الخادم التسبيح والتهليل والدعاء.

وفي حديث مساراة النبيّ لها عند وفاته أنّها بكت عندما أخبرها أنّه مقبوض، ثمّ ضحكت لمّا أخبرها أنّها أوّل من يلحقه إلى الرفيق الأعلى وجوار الله تعالى لحبّها للقاء الله تعالى[3].

وهكذا ينبغي لكلّ مؤمنة مقتدية بفاطمة، تُقَدِّم الآخرة على الدُّنيا تقدّم لقاء الله ورضوانه، لأنّ الدُّنيا بنظر فاطمة وأبيها دار ممرّ إلى دار المقرّ الأبدي، وهذا لا يعني ذمّ الدُّنيا وتركها إنّما التزوّد منها للآخرة.

■ ■ ■

(١) كمال الدين: ٢٦٣ ح١٠ باب ٢٤.
(٢) التذكرة الحمدونية: ٨/ ٨٧ ح١٦٧.
(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ٦/ ٣٩١ ح٣٢٢٦٠ فضائلها.

مشقة العيش على فاطمة عليها السلام

في تنبيه الخاطر: بينما النبي صلى الله عليه وآله والناس في المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتي فيؤذن إذ أتى بعد زمان فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبسك يا بلال؟

فقال: إني اجتزت بفاطمة عليها السلام وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرحى وهي تبكي.

فقلت لها: أيما أحب إليك إن شئت كفيتك ابنك، وإن شئت كفيتك الرحى.

فقالت: أنا أرفق بابني، فأخذت الرحى فطحنت فذاك الذي حبسني.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: رحمتها رحمك الله[1].

وفي مصباح الأنوار: عن أبي جعفر عليه السلام قال: أقبلت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فعرف في وجهها الخمص ـ قال: يعني الجوع ـ فقال لها: يا بنية ههنا فأجلسها على فخذه الأيمن.

فقالت: يا أبتاه إني جائعة، فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم رافع الوضعة ومشبع الجاعة أشبع فاطمة بنت نبيك.

قال أبوجعفر عليه السلام: فوالله ما جاعت بعد يومها حتى فارقت الدنيا[2].

وفي علل الشرائع: القطان، عن السكري، عن الحكم بن أسلم، عن ابن علية، عن الحريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن علي عليه السلام أنه قال لرجل من بني سعد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة أنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٦.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٧.

بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت[1] يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأو قدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد.

فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثاً فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبي صلى الله عليه وآله أنها جاءت لحاجة.

قال: فغدا علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في لفاعنا فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا ثم قال: السلام عليكم.

فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف وقد كان يفعل ذلك يسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف.

فقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا.

فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال: فخشيت إن لم نجبه أن يقوم قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله إنها استقت بالقربة حتى أثرت في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها.

فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل.

قال: أفلا اعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين قال: فأخرجت صلى الله عليها وآلها رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله ثلاث دفعات.

قال العلامة المجلسي: قال الجزري: مجلت يده تمجل مجلا، إذا ثخن جلدها

---

(١) مجلت يده قرحت يده أو تجمع ماء فيها بين الجلد واللحم بسبب العمل.

في العمل بالأشياء الصلبة، ومنها حديث فاطمة أنها شكت إلى علي عليه السلام مجل يدها من الطحن.

وقال: في حديث فاطمة: أنها أو قدت القدر حتى دكنت ثيابها، دكن الثوب إذا اتسح واغبر لونه يدكن دكناً.

وقال: اللفاع ثوب يجلل به الجسد كله كساء كان أو غير ومنه حديث علي وفاطمة: وقد دخلنا في لفاعنا أي لحافنا.

وقال: فحديث فاطمة أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثاً أي جماعة يتحدثون، وهو جمع على غير قياس حملاً على نظيره، نحو سامر وسمار فإن السمار المحدثون.

قوله: فلم يعد أن جلس، أي لم يتجاوز عن الجلوس من عدا يعد وقال الجوهري: عداه أي جاوزه، وما عدا فلا ن أن صنع كذا[1].

وفي الحلية: الأوزاعي عن الزهري قال: لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى مجلت يداها وطب الرحى في يدها.

قال العلامة المجلسي: طب أي تأنى في الأمور وتلطف ولعل المعنى أثرت فيها قليلاً قليلاً ولعل فيه تصحيفاً[2][3].

وفي الصحيحين إن علياً عليه السلام قال أشتكي مما أندأ بالقرب فقالت فاطمة عليها السلام: والله إني أشتكي يدي مما أطحن بالرحى وكان عند النبي صلى الله عليه وآله أسارى فأمرها أن تطلب من النبي صلى الله عليه وآله خادماً، فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلمت عليه ورجعت.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما لك؟

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) بل المراد بالطب أن تجعل طبابة أي سيراً من الجلد على الرحى فتمسكها بيدها وتدير.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٥.

قالت: والله ما استطعت أن اكلم رسول الله ﷺ من هيبته، فانطلق علي معها إلى النبي ﷺ.

فقال لهما: لقد جاءت بكما حاجة.

فقال علي: مجاراتهما فقال ﷺ: لا ولكني أبيعهم وأنفق أثمانهم على أهل الصفة، وعلمها تسبيح الزهراء[1].

كتاب الشيرازي أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت، يا فاطمة إني لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، وإني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب عليه السلام يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ إذا طلب حقه منك ثم علمها صلاة التسبيح فقال أمير المؤمنين: مضيت تريدين من رسول الله ﷺ الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة.

قال: قال أبوهريرة: فلما خرج رسول الله ﷺ من عند فاطمة أنزل الله على رسوله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة (ابتغاء) مرضاة الله، يعني طلب رحمة ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني رزقاً من ربك ترجوها ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾[2] يعني قولاً حسناً.

فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله ﷺ جارية إليها للخدمة وسماها فضة[3].

وبالإسناد إلى أبي علي الحسن بن محمد الطوسي، عن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال، عن محمد بن معقل العجلي، عن محمد بن أبي الصهبان، عن ابن فضال، عن حمزة بن حمران، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الاسراء: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٥.

تهلل وأخلق وهو لايكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله ﷺ يستحثه الخبر فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فارشني.

فقال ﷺ: ما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة، وكان بيتها ملاصقاً بيت رسول الله ﷺ الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه، وقال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة، فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل، بيت النبوة! ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الامين بالتنزيل، من عند رب العالمين فقالت فاطمة: وعليك السلام فمن أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجرا من شقة وأنا يا بنت محمد عاري الجسد، جائع الكبد فواسيني يرحمك الله، وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله ﷺ ثلاثا ما طعموا فيها طعاما، وقد علم رسول الله ﷺ ذلك من شأنهما.

فعمدت فاطمة ﷺ إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين فقالت: خذ هذا أيها الطارق! فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه.

قال الأعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فناولتيني جلد كبش ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب.

قال: فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبدالمطلب.

فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبعه فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه، فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبي ﷺ جالس في أصحابه.

فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد.

فقالت عليها السلام: بعه فعسى الله أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي ﷺ وقال: وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم؟

فقام عماربن ياسر رحمة الله عليه فقال: يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: اشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار.

فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأصلي فيها لربي، ودينار يبلغني إلى أهلي، وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله ﷺ من خيبر ولم يبق منه شيئاً فقال: لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك وشبعك من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيها الرجل، وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ: أشبعت واكتسيت؟

قال الأعرابي: نعم واستغنيت بأبي أنت وأمي.

قال: فاجز فاطمة بصنيعها فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك وأنت رازقنا على كل الجهات اللهم اعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فأمّن النبي ﷺ على دعائه وأقبل على أصحابه فقال: إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها ولولا علي ما كان

لفاطمة كفو أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة ـ وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان ـ فقال: وأزيدكم؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: أتاني الروح يعني جبرئيل ﷺ أنها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟

فتقول: الله ربي، فيقولان: فمن نبيك؟

فتقول: أبي، فيقولان: فمن وليك؟

فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب ﷺ.

ألا وأزيدكم من فضلها: إن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما.

فعمد عمار إلى العقد، فطيبه بالمسك، ولفه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله ﷺ وأخبره بقول عمار.

فقال النبي: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ فأخذت فاطمة ﷺ العقد وأعتقت المملوك، فضحك الغلام.

فقالت: ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه.

قال العلامة المجلسي: السمل بالتحريك الثوب الخلق.

قوله: قد تهلل أي الرجل من قولهم تهلل وجهه إذا استنار وظهرت فيه آثار السرور، أو الثوب كناية عن انخراقه[١][٢].

وفي الخرائج: روي عن جابر بن عبدالله قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أقام أياماً ولم يطعم طعاماً حتى شقّ ذلك عليه، فطاف في ديار أزواجه فلم يصب عند إحداهن شيئاً فأتى فاطمة فقال: يا بنية هل عندك شي آكله، فإني جائع؟

قالت: لا والله بنفسي وأخي فلما خرج عنها بعثت جارية لها رغيفين وبضعة لحم فأخذته ووضعته تحت جفنة وغطت عليها وقالت: والله لأؤثرن بها رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسي وغيري، وكانوا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع إليها فقالت: قد أتانا الله بشي فخبأته لك فقال: هلمي علي يا بنية، فكشفت الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنه من عندالله، فحمدت الله وصلت على نبيه أبيها وقدمته إليه فلما رآه حمد الله وقال: من أين لك هذا؟

قالت: هو من عندالله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي فدعاه وأحضره وأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي حتى شبعوا.

قالت فاطمة: وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت منها على جميع جيراني جعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً[٣].

---

(١) هذا هو المتعين لأنه وصف للسمل لا للرجل، والقياس أن يقول: قد تهلهل.

(٢) بطوله في بحار الأنوار: ٤٣/٥٦ ـ ٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/٢٧.

في الخرائج: روي أن سلمان قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قد امها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع.

فقلت: يا بنت رسول الله دبرت كفاك وهذه فضة.

فقالت أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها قال سلمان: قلت: إني مولى عتاقه إما أنا أطحن الشعير أو أسكت الحسين لك؟

فقالت: أنا بتسكيته أرفق وأنت تطحن الشعير، فطحنت شيئاً من الشعير فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما فرغت قلت لعلي ما رأيت؟ فبكى وخرج ثم عاد فتبسم فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها والحسين نائم على صدرها، وقدامها رحى تدور من غير يد، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا علي أما علمت أن لله ملائكة سيارة في الأرض يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة[1].

في تفسير العياشي: عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت. وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجي بالطعام.

فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شي؟

قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شي نقريك به قال: أفلا أخبرتني؟

قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشي عفر وإلا فلا تسأليه.

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٣١ ح٦، وبحار الأنوار: ٤٣/ ٢٨.

قال: فخرج ﷺ فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً ثم أقبل به وقد أمسى، فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟

قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين.

قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: ورسول الله ﷺ حي؟

قال: ورسول الله ﷺ حي.

قال: فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأؤثرك به فدفعه إليه فأقبل فوجد رسول الله ﷺ جالساً وفاطمة تصلي وبينهما شي مغطى فلما فرغت اجترت ذلك الشي فإذا جفنة من خبز ولحم قال: يا فاطمة أنّى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فقال له رسول الله ﷺ: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟

قال: بلى.

قال: مثلك مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقا قال: يا مريم أنّى لك هذا؟

قالت: هو من عندالله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فأكلوا منها شهراً وهي الجفنة التي يأكل منها القائم ﷺ وهي عندنا[1].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣١.

زهد فاطمة عليها السلام

قال علي عليه السلام: نكحت ابنة رسول الله ﷺ وما لنا فراش ننام عليه إلّا جلد شاة ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار[١].

وعن أسماء قالت: جهّزت فاطمة إلى علي وما كان حشو فراشهما ووسائدهما إلّا الليف.

وعن الباقر عليه السلام: كان فراش فاطمة وعلي إهاب كبش إذا أرادا أن يناما قلباه على صوفه، ووسادتهما من أدم حشوها ليف[٢].

وفي حديث: إنّ النبيّ ﷺ بكى بكاءً شديداً ولم يستطع أحد أن يكلّمه وكان إذا رأى فاطمة فرح بها فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبي ﷺ وبكائه فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة قد خيّطت إثنا عشر مكاناً بسعف النخل، فلمّا خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى، وقال: واحزناه إنّ قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمّد ﷺ عليها شملة صوف خَلِقَة قد خيطت في إثني عشر مكاناً، فلمّا دخلت فاطمة على النبيّ ﷺ قالت: يارسول الله إنّ سلمان تعجّب من لباسي فوالذي بعثك بالحقّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مسك كبش نعلف عليها بالنهار فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف.

فقال النبيّ ﷺ: يا سلمان إنّ ابنتي لفي الخيل السوابق[٣].

---

(١) سنن سعيد بن منصور: ١/١٦٨ ح٦٠١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٨/١٩ ذكر بنات رسول الله رقم ٤٠٩٧.

(٣) البحار: ٨/٣٠٣ ح٦٢.

وتقدّم في خدمة فاطمة في بيتها أنّها كانت تعمل كلّ شيء في بيتها وبالأسباب البسيطة.

وعن عمران بن حصين قال: أتيت النبيّ ﷺ فسلّمتُ عليه فقال: يا عمران إنَّ لك منّا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة؟ قلت: نعم يارسول الله بأبي أنت وأمّي، فقام رسول الله ﷺ وقمتُ معه حتّى وقف على باب فاطمة فقال: السلام عليك يا بنيّة أأدخُلُ؟ فقالت: أدخُلُ يارسول الله بأبي أنت وأمّي، قال: أنا ومَن معي؟ قالت: ومن مَعك يارسول الله؟ قال: معي عمران بن الحصين الخُزاعي، قالت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما عليَّ إلّا عباءة لي، فقال: يا بُنيّة إصنعي بها هكذا وهكذا، وأشار بيده، فقالت: يارسول الله بأبي أنت وأمّي هذا جَسَدي قد واريتُه فكيف لي برأسي؟ فألقى إليها ملاءةً له خَلِقَة فقال: شُدّي هذه على رأسك ثمّ أذنت له فدخلت معه، فقال: كيف أصبحت يا بُنيّة؟

قالت: أصبحت والله وجعة يارسول الله وزادني على ما بي من الوجع الجوعُ، لست أقدر على طعام آكله، فقد أهلكني الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وبكت فاطمة معه ثم قال: أبشِري يا فاطمة وقَرّي عيناً ولا تَحزني، فوالذي بعثني بالنبوّة حقّاً إن كنت ذُقْتُ طعاماً منذ ثلاث وإنّي لأكرم على الله منك، ولو شئت أن أظِلَّ عند ربّي يُطعِمني ويَسْقِيني لفعلتُ، ولكنّي آثرت الآخرة على الدُّنيا، يا بُنيّة لا تجزعي فوالذي بعثني بالنبوّة حقّاً إنّك سيّدة نساء العالمين، فوضعت يدها على رأسها وقالت: يا أبه! فأين آسية بنت مُزاحم امرأة فرعون؟ ومريم بنت عمران؟

فقال ﷺ: آسية سيّدة نساء عالَمها، ومريم سيّدة نساء عالَمها، وخديجة سيّدة نساء عالَمها، وأنت فاطمة سيِّدة نساء عالَمك، إنّكنّ في بيوت من قَصَب لا أذى فيه ولا نصب.

قلت: يارسول الله وما بيوت من قصب؟

قال: دُرٌّ مُجَوّف من قَصَب لا أذى فيه ولا صَخَب، قال: ثمّ ضرب بيده على

منكبها وقال: يا بُنيّة والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لقد زوّجتك سيّداً في الدُّنيا وسيّداً في الآخرة[١].

وفي الأمالي: الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي، عن محمد بن علي بن خلف، عن حسن بن صالح بن أبي الأسود، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة ﷺ فدخل عليها فأطال عندها المكث فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة ﷺ مسكتين من ورق وقلادة وقرطين[٢] وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها ﷺ فلما قدم رسول الله ﷺ دخل عليها فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر فظنت فاطمة ﷺ أنه إنما فعل ذلك رسول الله ﷺ لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها: ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله ﷺ وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقي فيها كافراً شربة ماء ثم قام فدخل عليها[٣].

وفي الأمالي: ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن محمد بن يحيى الخزاز عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن آبائه ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء: ٢/ ٤٢ عن عمران بن حصين وأخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب: ٢/ ٧٥٠ وأخرجه العلّامة الطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ٤٨ وأخرجه المحبّ الطبري في ذخائر العقبى ٤٣ وقال: خرجه أبو عمر، قال: وخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي في فضل فاطمة عن عمران مستوفى.

(٢) المسكة ـ بالتحريك ـ السوار والخلخال والورق: الفضة، والقلادة ـ بالكسر ـ ما يجعل في العنق من الحلي، والقرط ـ بالضم ـ ما يعلق في شحمة الأذن من الجواهر وغيرها.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٠.

قال علي عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة فأعرض عنها فقطعتها ورمت بها.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مني يا فاطمة، ثم جاء سائل فناولته القلادة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتد غضب الله وغضبي على من أهرق دمي وآذاني في عترتي[١].

وفي صحيفة الرضا: عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة جدتك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي بن أبي طالب عليه السلام اشتراها له من في له فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يغرنك الناس أن يقولوا بنت محمد وعليك لباس الجبابرة فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها فسر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك[٢].

في الخرائج: روي عن عمران بن الحصين قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله جالساً إذ أقبلت فاطمة عليها السلام وقد تغيّر وجهها من الجوع فقال لها: ادني، فدنت منه، فرفع يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة وهي صغيرة ثم قال: اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضعة، لا تجع فاطمة.

قال: فرأيت الدم على وجهها كما كانت الصفرة فقالت: ما جعت بعد ذلك[٣].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله: دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وفي عنقها قلادة، فأعرض عنها فقطعتها ورمت بها.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مني اثتيني يا فاطمة ثم جاء سائل فناولته القلادة[٤].

ابن شاهين في مناقب فاطمة، وأحمد في مسند الأنصار بإسنادهما عن أبي

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٧.
(٤) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٤.

هريرة وثوبان أنهما قالا: كان النبي ﷺ يبدأ في سفره بفاطمة ويختم بها، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم أبيها وزوجها فلما رآه النبي ﷺ تجاوز عنها وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعثت به إلى أبيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله فلما أتاه قال ﷺ: قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ما لآل محمد وللدنيا فإنهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم[١].

وفي رواية أحمد: فإن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا[٢].

■ ■ ■

(١) أي من أجلهم.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢١، وبحار الأنوار: ٤٣/ ٨٦.

عبادة فاطمة عليها السلام

عبادة فاطمة لخالقها وبارئها كثيرة ولها معان جميلة، فكلّ خُلُقها عبادة عبدت الله وهي نور حول عرشه، وعبدته وهي في بطن أُمّها، وعبدته عند ولادتها، وعبدته طيلة حياتها في هذا العالم، وعبدته عند وفاتها بل توفّيت وهي ساجدة عابدة لله عزّوجلّ كما ولدت.

ولا زالت فاطمة بنت محمّد تعبد الله إلى هذه اللحظة وحتى قيام الساعة بل سوف تعبده في جنّاته وحول عرشه كما بدأت بعبادته من العرش وفي العرش وإلى العرش: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

١ ـ عبادة فاطمة حول العرش: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً ثمّ تكلّم بكلمة فخلق منها روحاً ثمّ مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس...»**[2].

وعنه صلوات المصلّين عليه وعلى آله: إنّ آدم رفع طرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات قال آدم: ياربّ مَنْ هؤلاء؟ قال الله عزّوجلّ له: هؤلاء الذين إذا تشفّع بهم إلي خلقي شفّعتهم، فقال آدم: ياربّ بقدرهم عندك ما اسماؤهم؟

قال: أمّا الأوّل فأنا المحمود وهو محمّد، والثاني: فأنا العالي الأعلى وهذا عليّ، والثالث: فأنا الفاطر وهذه فاطمة، والرابع: فأنا المحسن وهذا حسن،

---

(١) سورة الأعراف: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٥/ ١٠ ح١١.

والخامس: فأنا ذو الإحسان وهذا حسين، كلٌّ يحمد الله عزّوجلّ»[١].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال: يارسول الله أخبرني عن قول الله عزّوجلّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[٢] فمَن هم يارسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام...»[٣].

وعن سلمان الفارسي: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته، وخلق من نوري نور عليّ ﷺ فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة ﷺ فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن علي وفاطمة: الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمّانا الله عزّوجلّ بخمسة أسماء من أسمائه..[٤].

وأخرج الخوارزمي حديثاً طويلاً في إسراء النبيّ ﷺ جاء فيه: فقال لي الربّ: إلتفت عن يمين العرش فالتفتّ فإذا أنا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعليّ بن محمّد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم كأنّه كوكبٌ دريّ[٥].

وفي حديث عندما سألوه: لماذا سمّيت حوراء إنسية؟ قال ﷺ: خلقها الله عزّوجلّ من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح.

قيل: يا نبيّ الله وأين كانت فاطمة؟

---

(١) بحار الأنوار: ١٥/ ١٤ ح١٨ عن معاني الأخبار: ٢١.

(٢) سورة ص: ٧٥.

(٣) البحار: ١٥/ ٢١ ح٣٤.

(٤) إلزام الناصب: ٢/ ٣٣٢ الفرع الثاني من الآيات المشعرة بالرجعة.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٩٦ الفصل السادس.

قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبيّ الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد..[١]..

٢ ـ عبادة فاطمة في بطن أمّها: أخرجه البرسي في أسرار فاطمة عند الحديث عن ولادتها، قال: وكانت تحدّث خديجة في الأحشاء وتؤنسها بالتسبيح والتقديس[٢].

٣ ـ عبادة فاطمة عند ولادتها: ففي ذخائر العقبى للطبري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ حوّاء وآسية وأُخت موسى ومريم خدموا خديجة عند ولادة فاطمة، قال: فولدت فاطمة فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: فوضعت خديجة فاطمة طاهرة مطهّرة فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها نور..... فنطقت فاطمة عليها السلام بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد الأنبياء وأنّ بَعلي سيّد الأوصياء وأنّ ولدي سادة الأسباط..[٤]..

٤ ـ عبادة فاطمة في الحياة الدُّنيا: قال إمامنا الحسن عليه السلام: ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتّى تورّمت قدماها[٥].

وقيل: إنّ هذا سبب حبّ النبيّ لفاطمة أنّها كانت زاهدة عابدة[٦].

ومن شدّة احتياطها في عبادتها كانت تضع من يراقب لها أوقات الصلاة وغروب الشمس فَيُعْلمها بذلك خاصّة عصر يوم الجمعة الذي فيه أعمال مستحبّة كثيرة[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٤ ح٣.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ١٣٣ الفصل الثالث.

(٣) ذخائر العقبى: ٤٥.

(٤) بحار الأنوار: ١٦/ ٨٠ ـ ٨١ ح٢٠، و٤٣/ ٣ ح١، ومشارق أنوار اليقين: ١٣٣ الفصل الثالث.

(٥) ربيع الأبرار: ٢/ ١٠٤، ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٨٠ الفصل الخامس.

(٦) راجع أخبار الدول للقرماني: ٨٧ الفصل الأربعون ط بغداد ١٢٨٢هـ.

(٧) راجع رسالة سرّ العالمين للغزالي: ٣٦، وفاطمة الزهراء لتوفيق: ١٠٤.

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: رأيت أُمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني! الجار ثمّ الدار[١].

وعن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول الله إنّك تدعين للناس ولا تدعين لنفسك، فقالت: الجار ثمّ الدار[٢].

وعن ابن عبّاس في خبر طويل قد أثبتناه في باب ما أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بظلم أهل البيت قال صلى الله عليه وآله: وأمّا ابنتي فاطمة فإنّها سيّدة نساء العالمين، من الأوّلين والآخرين وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّوجلّ لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى أمَتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد أمّنت شيعتها من النار[٣].

٥ ـ عبادة فاطمة قبل وفاتها: أخرج الخوارزمي أنّها قبيل وفاتها قامت مقام رسول الله في بيتها فصلّت ركعتين ثمّ جلّلت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها[٤].

٦ ـ عبادة فاطمة عند وفاتها: وهو ما أخرجه الخوارزمي أيضاً أنّها صلّت قبيل وفاتها ركعتين في بيتها وتوفّيت في سجدتها[٥].

---

(١) علل الشرائع: ١/ ١٨٢ ح ١، وبحار الأنوار: ٤٣/ ٨٢ ح ٣.
(٢) البحار: ٤٣/ ٨١ ـ ٨٢ ح٣ ـ ٤.
(٣) البحار: ٤٣/ ١٧٢ ح١٣.
(٤) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٨٥ فضائل فاطمة عليها السلام.
(٥) مقتل الحسين: ١/ ٨٥.

وفي معاني الأخبار: ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن يزيد، عن ابن فضال، عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟

فقال: فاطمة حوراء إنسية.

قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟

قال: خلقها الله عزّ وجلّ من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عزّ وجلّ آدم عرضت على آدم.

قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟

قال: كانت في حقة تحت ساق العرش.

فقالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟

قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عزّ وجلّ آدم وأخرجني من صلبه وأحب الله عزّ وجلّ أن يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد!

قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام.

قلت: منه السلام وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عزّ وجلّ إليك من الجنة.

فأخذتها وضممتها إلى صدري.

قال: يا محمد يقول الله جل جلاله كُلْها ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه.

فقال: يا محمد ما لك لا تأكل؟ كُلْها ولا تخف فإن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة.

قلت: حبيبي جبرئيل ولِمَ سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟

قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها وهي في السماء المنصورة وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾[1] يعني نصر فاطمة لمحبيها.

قال العلامة المجلسي: لعل هذا التاويل مبني على أن قوله «من بعد» قبل قوله «يومئذ» إشارة إلى القيامة[2].

وقال الحسن: ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة عليها السلام، كانت تقوم حتى تتورم قدماها[3].

في التهذيب: محمد بن علي بن محبوب، عن محمد بن الحسين، عن محسن بن أحمد، عن محمدبن جناب، عن يوسف، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت فتأتي قبر حمزة وتترحم عليه، وتستغفر له[4].

وفي علل الشرائع: ابن مقبرة، عن محمد بن عبدالله الحضرمي، عن جندل بن والق عن محمد بن عمر المازني، عن عبادة الكلبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي، عن أخيه الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء.

---

(١) الروم: ٤ و٥.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٦.
(٤) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٠.

فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بني! الجار ثم الدار[١].

وفي علل الشرائع: أحمد بن محمد بن عبدالرحمن المروزي، عن جعفر المقري، عن محمد بن الحسن الموصلي، عن محمد بن عاصم، عن أبي زيد الكحال، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها.

فقيل لها: يا بنت رسول الله إنك تدعين للناس ولا تدعين لنفسك.

فقالت: الجار ثم الدار[٢].

الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تتورم قدماها[٣].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٢.

(٣) علل الشرائع: ١/ ١٨٢؛ باب ١٤٥ ح ١ ـ ٢.

خشوع فاطمة عليها السلام

عن ابن عباس في خبر طويل أخبر فيه النبي ﷺ بظلم أهل البيت عليهم السلام، قال: وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الأنسية متى ما قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: **يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أشهدكم أني قد أمّنت شيعتها من النار.**

وإني لما رأيتها ذكرت ما صنع بها بعدي كأنّي بها وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمداه، فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة وتتذكر فراقي أخرى وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين.

ثم يبتدىء بها الوجع، فتمرض، فيبعث الله عز وجل إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها فتقول عند ذلك: يا رب إني قد سئمت الحياة وتبرّمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فَتُقْدِم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللّهم العن من ظلمها وعاقب من

غصبها وذلّل من أذلّها، وخلّد في نارك من ضرب جنينها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين[١].

ومن كتاب زهد النبيّ ﷺ لأبي جعفر القمّي لمّا نزلت ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ بكى ﷺ وبكت أصحابه لبكائه ولم يدروا ما نزل، وكان ﷺ إذا رأى فاطمة فرح فانطلق سلمان إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً تطحنه وتقول: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فأخبرها ببكاء النبيّ ﷺ فالتفّت بشملة لها خلقة قد خيطت إثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلمّا خرجت نظر سلمان إلى الشملة وبكى وقال: واحزناه إنّ قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمّد عليها هذه الشملة، فلمّا دخلت على النبيّ ﷺ قالت: إنّ سلمان يعجب من لباسي، والذي بعثك بالحقّ مالي ولعلي منذ خمس سنين إلّا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل إفترشناه وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف، فقال النبيّ ﷺ: يا سلمان إنّ ابنتي لفي الخيل السوابق.

ثمّ قالت: يا أبه فديتك ما الّذي أبكاك، فذكّرها ما نزل به جبرئيل من الآيتين فسقطت على وجهها وهي تقول: الويل ثمّ الويل لمن دخل النار فسمعها سلمان فقال: ياليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزّقوا ولم أسمع بذكر النّار. وقال أبو ذرّ: ياليت أُمّي كانت عاقراً ولم تلدني ولم أسمع بذكر النّار.

وقال عمّار: ياليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن عليّ حساب ولا عقاب.

وقال عليّ عليه السلام: ياليت السباع مزّقت لحمي وليت أُمّي لم تلدني. ثمّ وضع عليّ عليه السلام يده على رأسه وجعل يبكي ويقول: وا بُعد سفراه وا قلّة زاداه في سفر القيامة [يذهبون في النار ويتخطفون[٢] مرضى لا يُعاد سقيمهم وجرحى لا يداوى جرائحهم وأسرى لا يفكّ [أسيرهم[٣] من النار يأكلون ومنها يشربون وبين طبقاتها

(١) بيت الأحزان للقمي: ٤٨، والخصائص الفاطمية: ٢/ ٤٤٠..
(٢) زيادة من المصدر.
(٣) في المصدر: أسيرهم.

يتقلّبون وبعد لبس القطن مقطّعات النار يلبسون وبعد معانقة الأزواج مع الشياطين مقرنون[١].

■ ■ ■

(١) بحار الأنوار: ٨٨/٤٣ ح ٩، وبيت الأحزان: ٤٥.

ورع فاطمة عليها السلام

نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: لم حجبتيه وهو لا يراك؟

فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بضعة مني[1].

(١) مستدرك الوسائل: ١٤/٢٨٩ ح ١٦٤٠، وبحار الأنوار: ٤٣/٩١.

شدة خشية فاطمة عليها السلام من الله

من كتاب زهد النبي ﷺ لأبي جعفر أحمد القمي أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۝٤٤﴾[1] بكى النبي ﷺ بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلمه.

وكان النبي ﷺ إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه وتقول: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[2] فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي ﷺ وبكائه.

فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: واحزناه إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد ﷺ عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً.

فلما دخلت فاطمة على النبي ﷺ قالت: يا رسول الله إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف فقال النبي ﷺ: يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق.

ثم قالت عليها السلام: يا أبت فديتك ما الذي أبكاك؟ فذكر لها ما نزل به جبرئيل من

---

(١) سورة الحجر: ٤٣ و٤٤.

(٢) سورة القصص: ٦٠.

الآيتين المتقدمتين قال: فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: الويل ثم الويل لمن دخل النار.

فسمع سلمان فقال: ياليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار.

وقال أبو ذر: يا ليت أمي كانت عاقراً ولم تلدني ولم أسمع بذكر النار، وقال مقداد: يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن علي حساب ولا عقاب ولم أسمع بذكر النار.

وقال علي عليه السلام: يا ليت السباع مزقت لحمي وليت أمي لم تلدني ولم أسمع بذكر النار.

ثم وضع علي عليه السلام يده على رأسه وجعل يبكي ويقول: وابعد سفراه! واقلة زاداه في سفر القيامة يذهبون في النار ويتخطفون، مرضى لا يعاد سقيمهم، وجرحى لا يداوى جريحهم، وأسرى لا يفك أسرهم، من النار يأكلون، ومنها يشربون وبين أطباقها يتقلبون، وبعد لبس القطن مقطعات النار يلبسون، وبعد معانقة الأزواج مع الشياطين مقرنون[1].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٧ ـ ٨٩.

صلاة فاطمة عليها السلام من تعليم جبرائيل

ذكر ابن طاووس في جمال الأسبوع عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كانت لأمّي فاطمة عليها السلام ركعتان تصلّيهما علّمهما جبرائيل، ركعتان تقرأ في الأولى الحمد مرّة وإنّا أنزلناه في ليلة القدر مائة مرّة، وفي الثانية الحمد مرّة ومائة مرّة قل هو الله أحد، فإذا سلّمت سبّحت بهذا التسبيح وهو: سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفاء، سبحان من يرى وقع الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا لا هكذا غيره[1].

وأخرج العيّاشي عن الصادق عليه السلام قال: من صلّى أربع ركعات في كلّ ركعة خمسين مرّة (قل هو الله أحد) كانت صلاة فاطمة عليها السلام وهي صلاة الأوّابين[2].

(١) مستدرك الوسائل: ٦/ ٢٩٣ ح٦٨٦١، وجمال الأسبوع: ١٧٢ الفصل التاسع والعشرون.

(٢) مستدرك الوسائل: ٦/ ٢٩٤ ح٦٨٦٣، ومن لا يحضره الفقيه: ١/ ٥٦٤ ح١٥٥٧.

تسبيح فاطمة عليها من الله السلام

علّم النبيّ فاطمة ـ وهي العالمة غير المعلَّمة ـ ورداً فيه مددٌ إلهي ولقّنها رياضة نفسية تتقوّى بها على الصعاب ومجن الدُّنيا وتفوز به في دار القرار، فالتزمت به طيلة حياتها عقيب كلّ صلاة وقبل النوم، والتزم به أمير المؤمنين كذلك فلم يتركه حتّى في حرب صفّين وليلة الهرير، والتزم به كافّة الأئمّة المعصومين عليهم السلام من إمامنا الحسن إلى القائم المنتظر، وكانوا يعلّمونه أولادهم وأصحابهم ومحبّيهم ويحثّونهم على عدم تركه مهما حصل لما فيه من فوائد جمّة.

نحن الآن مَدْعُوون لإحياء هذا التسبيح رجالاً ونساءً، تسبيح فاطمة وما أدراك ما تسبيح فاطمة؟!

تسبيحٌ ورد الحثّ عليه في الروايات لفضله وآثاره، منها ما رواه إمامنا الصادق عليه السلام قال: **إنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه فإنّه لم يلزمه عبد فشقي**[1].

وعنه: **من سبّح تسبيح فاطمة فقد ذكر الله الذكر الكثير**[2].

وعنه: **تسبيح الزهراء فاطمة في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم**[3].

وروي أنّه يبعد الشيطان ويغفر الله له ويوجب له الجنّة[4].

---

(١) البحار: ٨٥/ ٣٢٨ ح٣.
(٢) البحار: ٨٥/ ٣٣١ ح٨.
(٣) البحار: ٨٥/ ٣٣٢ ح٩.
(٤) المصدر السابق ح١١ ـ ١٣ ـ ١٦، ومستدرك سفينة البحار: ٤/ ٤٣١.

وكيفيّته أن يبدأ بتكبير الله أربعة وثلاثين مرّة، ثمّ يحمد الله ثلاثة وثلاثين ثمّ يسبّح الله ثلاثة وثلاثين كما جاءت بذلك الروايات[١].

■ ■ ■

(١) المصدر السابق ح٢١، ومصنّف ابن أبي شيبة: ٣/ ٣٣ ح٢٩٢٥٤، والذرّية الطاهرة: ١٣٦ ح١٧٣.

دعاء فاطمة عليها السلام المستجاب

كانت فاطمة عليها السلام كثيرة العبادة لربّها كثيرة التسبيح كثيرة الدعاء والتضرّع، وكانت تدعو لجيرانها قبل نفسها وللمؤمنين والمؤمنات كما تقدّم.

كانت تؤثرهم على نفسها حتّى في الدعاء لشدّة تقرّبها من ربّها.

ووردت الروايات أنّ الله كان يستجيب لها ما تطلبه منه، ففي حديث نزول مائدة السماء جاء فيه:... ثمّ وثبت فاطمة حتّى دخلت إلى مخدع لها فصفّت قدميها فصلّت ركعتين ثمّ رفعت باطن كفّيها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيّدي هذا محمّد نبيّك وهذا علي ابن عمّ نبيّك وهذان الحسن والحسين سبطا نبيّك، إلهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها، اللّهمَّ أنزلها علينا فإنّا بها مؤمنون[١].

قال ابن عبّاس: والله ما استتمّت الدعوة فإذا هي بصحيفة من ورائها يفور قتارها وإذا قتارها أزكى من المسك الأذفر..[٢].

وأخرج ابن حبّان عن عبدالله قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ساجد وحوله ناس إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمةفأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك وقالت: اللّهمَّ عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة وعقبة وأميّة بن خلف، قال: فلقد رأيتهم يوم بدر وألقوا في بئر غير أنّ أميّة تقطّعت أوصاله فلم يلق في البئر[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٤.

(٢) البحار: ٤٣/ ٧٣ ـ ٧٤ ح٦١ والحديث طويل اختصرناه.

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان: ٨/ ١٨٩ ح٦٥٣٦.

ويؤيّد هذه الروايات ما قالته النصارى عندما جاء النبيّ ﷺ وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام للمباهلة قال كبيرهم: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألت الله تعالى أن يزيل جبلاً لأزاله، لا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني منكم إلى يوم القيامة[١].

وروي أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كان عليهما ثياب خلق وقد قرب العيد فقالا لأمّهما: إنّ بني فلان خيطت لهما الثياب الفاخرة أفلا تخيطين لنا ثياباً للعيد يا أُمّاه، فقالت: يخاط لكما إن شاء الله [فلما إن جاء العيد] جاء جبرئيل عليه السلام بقميصين من حلل الجنّة وأخبر النبيّ بقول فا ﷺ طمة للحسن والحسين ثمّ قال جبرئيل: قال الله تعالى لمّا سمع قولها لا نستحسن أن نكذّب فاطمة بقولها: يخاط لكما إن شاء الله[٢].

(١) الفصول المهمّة: ٢٣.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٥.

أدعية فاطمة الزهراء عليها السلام[١]

١ ـ دعاؤها عليها السلام في تسبيح الله سبحانه:

سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفاء، سبحان من يرى وقع الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره.

وفي رواية: سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، سبحان ذي البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفا ووقع الطير في الهواء[٢].

٢ ـ دعاؤها عليها السلام في تسبيح الله سبحانه في اليوم الثالث من الشهر:

سبحان من استتار بالحول والقوّة، سبحان من احتجب في سبع سماوات، فلا عين تراه، سبحان من أذلّ الخلائق بالموت، وأعزّ نفسه بالحياة، سبحان من يبقى ويفنى كلّ شيء سواه، سبحان من استخلص الحمد لنفسه وارتضاه، سبحان الحيّ العليم، سبحان الحليم الكريم، سبحان الملك القدّوس، سبحان العليّ العظيم، سبحان الله وبحمده[٣].

٣ ـ دعاؤها عليها السلام في طلب مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال:

اللّهمَّ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي،

---

(١) نص هذه الأدعية مأخوذ من صحيفة فاطمة للقيومي: ٤٢ إلى ٢١٢، وقد خرجناها من المصادر المختلفة.

(٢) مصباح المتهجد: ٣٠١.

(٣) الدعوات للراوندي: ٩١.

وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللّهمَّ إنّي أسألك كلمة الإخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك بردّ العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرّة ولا فتنة مظلمة، اللّهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديّين، ياربّ العالمين[١].

٤ ـ دعاؤها عليها السلام في جوامع مطالب الدُّنيا والآخرة:

اللّهمَّ قنّعني بما رزقتني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفّيتني، اللّهمَّ لا تعيّني في طلب ما لم تقدّر لي، وما قدّرته فاجعله ميسّراً سهلاً، اللّهمَّ كاف عنّي والديّ وكلّ من له نعمة عليَّ خير مكافاة، اللّهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفّلت لي به، ولا تعذّبني وأنا أستغفرك، ولا تحرمني وأنا أسألك، اللّهمّ ذلّل نفسي، وعظّم شأنك في نفسي، وألهمني طاعتك، والعمل بما يرضيك، والتجنّب لما يسخطك، يا أرحم الراحمين[٢].

٥ ـ دعاؤها عليها السلام بعد صلاة الوتر:

عن فاطمة عليها السلام: رغّب النبيّ صلى الله عليه وآله في الجهاد وذكر فضله، فسألته الجهاد، فقال: ألا أدلّك على شيء يسير وأجره كبير، ما من مؤمن ولا مؤمنة يسجد عقيب الوتر سجدتين ويقول في كلّ سجدة: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح خمس مرّات، لا يرفع رأسه حتّى يغفر الله ذنوبه كلّها واستجاب الله دعاءه وإن مات في ليلته مات شهيداً[٣].

٦ ـ دعاؤها عليها السلام في تعقيب صلاة الظهر:

سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان

---

(١) البحار: ٩١/٢٢٥ ح ١.
(٢) البحار: ٩٢/٢٠٦ ح ٣٦.
(٣) صحيفة الزهراء: ٤٦.

ذي الملك الفاخر القديم، والحمد لله الذي بنعمته بلغت ما بلغت من العلم به والعمل له، والرغبة إليه والطاعة لأمره.

والحمد لله الذي لم يجعلني جاحداً لشيء من كتابه، ولا متحيّراً في شيء من أمره، والحمد لله الذي هداني لدينه، ولم يجعلني أعبد شيئاً غيره.

اللّهمَّ إنّي أسألك قول التوّابين وعملهم، وجهاد المجاهدين وثوابهم، وتصديق المؤمنين وتوكّلهم، والراحة عند الموت، والأمن عند الحساب، واجعل الموت خير غائب أنتظره، وخير مطّلع يطلّع عليّ، وارزقني عند حضور الموت وعند نزوله، وفي غمراته، وحين تنزل النفس من بين التراقي، وحين تبلغ الحلقوم، وفي حال خروجي من الدُّنيا، وتلك الساعة التي لا أملك لنفسي فيها ضرّاً ولا نفعاً، ولا شدّة ولا رخاءً، روحاً من رحمتك، وحظّاً من رضوانك، وبشرى من كرامتك، قبل أن تتوفّى نفسي، وتقبض روحي، وتسلّط ملك الموت على إخراج نفسي، وببشرى منك يارب ليست من أحد غيرك، تثلج بها صدري، وتسرّ بها نفسي، وتقرّ بها عيني، ويتهلّل بها وجهي، ويسفر بها لوني، ويطمئن بها قلبي، ويتباشر بها على سرائر جسدي، يغبطني بها من حضرني من خلقك، ومن سمع بي من عبادك، تهوّن بها عليّ سكرات الموت، وتفرّج عنّي بها كربته، وتخفّف بها عنّي شدّته، وتكشف عنّي بها سقمه، وتذهب عنّي بها غمّه وحسرته، وتعصمني بها من أسَفه وفَتْنه، وتجيرني بها من شرّه وشرّ ما يحضر أهله، وترزقني بها خيره وخير ما يحضر عنده، وخير ما هو كائن بعده. ثمّ إذا توفّيت نفسي وقبضت روحي، فاجعل روحي في الأرواح الرائحة، واجعل نفسي في الأنفس الصالحة، واجعل جسدي في الأجساد المطهّرة، واجعل عملي في الأعمال المتقبّلة.

ثمّ ارزقني من خطّتي من الأرض، وموضع جنّتي، حيث يرفت لحمي، ويدفن عظمي، وأترك وحيداً لا حيلة لي. قد لفظتني البلاد وتخلّى منّي العباد، وافتقرت إلى رحمتك، واحتجت إلى صالح عملي، وألقى ما مهّدت لنفسي، وقدّمت لآخرتي، وعملت في أيّام حياتي، من رحمتك، وضياءً من نورك، وتثبيتاً من كرامتك، بالقول الثابت في الحياة الدُّنيا والآخرة، إنّك تضلّ الظالمين وتفعل ما تشاء.

ثمّ بارك لي في البعث والحساب، إذا انشقّت الأرض عنّي، وتخلّى العباد منّي، وغشيتني الصيحة، وأفزعتني النفخة، ونشرتني بعد الموت، وبعثتني للحساب، فابعث معي ياربّ نوراً من رحمتك، يسعى بين يديَّ وعن يميني تؤمنني به، وتربط به على قلبي، وتظهر به عذري، وتبيّض به وجهي، وتصدّق به حديثي، وتفلج به حجّتي، وتبلغني به العروة القصوى من رحمتك، وتحلّني الدرجة العليا من جنّتك، وترزقني به مرافقة محمّد النبيّ عبدك ورسولك، في أعلى الجنّة درجة، وأبلَغها فضيلة، وأبرّها عطيّة، وأرفعها نفسة، مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد خاتم النبيّين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى الملائكة أجمعين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وعلى أئمّة الهدى أجمعين، آمين ربّ العالمين.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد كما هديتنا به، وصلِّ على محمّد كما رحمتنا به، وصلِّ على محمّد كما عززتنا به، وصلِّ على محمّد كما فضّلتنا به، وصلِّ على محمّد كما شرّفتنا به، وصلِّ على محمّد كما نصرتنا به، وصلِّ على محمّد كما أنقذتنا به من شفا حفرة من النار.

اللّهمَّ بيّض وجهه، واعل كعبه، وافلج حجّته، وأتمم نوره، وثقّل ميزانه، وعظّم برهانه، وافسح له حتّى يرضى، وبلّغه الدرجة والوسيلة من الجنّة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، واجعله أفضل النبيّين والمرسلين عندك منزلةً ووسيلةً، واقصص بنا أثره، واسقنا بكأسه، وأوردنا حوضه، واحشرنا في زمرته، وتوفّنا على ملّته، واسلك بنا سُبله، واستعملنا بسنّته، غير خزايا ولا نادمين، ولا شاكّين ولا مبدّلين، يا من بابه مفتوح لداعيه، وحجابه مرفوع لراجيه، يا ساتر الأمر القبيح ومداوي القلب الجريح، لا تفضحني في مشهد القيامة بموبقات الآثام.

يا غاية المضطرّ الفقير، ويا جابر العظم الكسير، هب لي موبقات الجرائر، واعف عن فاضحات السرائر، واغسل قلبي من وزر الخطايا، وارزقني حسن

الإستعداد لنزول المنايا، يا أكرم الأكرمين ومنتهى أُمنية السائلين، أنت مولاي، فتحت لي باب الدعاء والإنابة، فلا تغلق عنّي باب القبول والإجابة، ونجّني برحمتك من النار، وبوّئني غرفات الجنان، واجعلني متمسّكاً بالعروة الوثقى، واختم لي بالسعادة، وأحيني بالسلامة يا ذا الفضل والكمال، والعزّة والجلال، ولا تشمّت بي عدوّاً ولا حاسداً، ولا تسلّط عليَّ سلطاناً عنيداً ولا شيطاناً مريداً، برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً[1].

٧ ـ دعاؤها عليها السلام في تعقيب صلاة العصر:

سبحان من يعلم جوارح القلوب، سبحان من يُحصي عدد الذنوب، سبحان من لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، والحمد لله الذي لم يجعلني كافراً لأنعمه، ولا جاحداً فضله، فالخير فيه وهو أهله. والحمد لله على حجّته البالغة على جميع من خلق، ممّن أطاعه وممّن عصاه، فإن رحم فَمَنٌّ منه، وإن عاقب فبما قدّمت أيديهم، وما الله بظلّام للعبيد. الحمد لله العليّ المكان، والرفيع البنيان، الشديد الأركان، العزيز السلطان، العظيم الشأن، الواضح البرهان، الرحيم الرحمان، المنعم المنّان. الحمد لله الذي احتجب عن كلّ مخلوق يراه بحقيقة الربوبية وقدرة الوحدانية، فلم تدركه الأبصار، ولم تحط به الأخبار، ولم يعينه مقدار، ولم يتوهّمه اعتبار، لأنّه الملك الجبّار.

اللّهمَّ قد ترى مكاني وتسمع كلامي، وتطّلع على أمري، وتعلم ما في نفسي، وليس يخفى عليك شيء من أمري، وقد سعيت إليك في طلبتي، وطلبت إليك في حاجتي، وتضرّعت إليك في مسألتي، وسألتك لفقر وحاجة، وذلّة وضيقة، وبؤس ومسكنة. وأنت الربّ الجواد بالمغفرة، تجد من تعذّب غيري، ولا أجد من يغفر لي غيرك، وأنت غنيّ عن عذابي، وأنا فقير إلى رحمتك. فأسألك بفقري إليك وغناك عنّي، وبقدرتك عليَّ وقلّة امتناعي منك، أن تجعل دعاتي هذا دعاء وافق منك إجابة،

(١) فلاح السائل: ١٧٣.

ومجلسي هذا مجلساً وافق منك رحمة، وطلبتي هذه طلبة وافقت نجاحاً، وما خفت عسرته من الأمور فيسّره، وما خفت عجزه من الأشياء فوسّعه، ومَنْ أرادني بسوء من الخلائق كلّهم فاغلبه، آمين يا أرحم الراحمين. وهوّن عليَّ ما خشيت شدّته، واكشف عنّي ما خشيت كربته، ويسّر لي ما خشيت عسرته، آمين ربّ العالمين.

اللّهمَّ انزع العجب والرياء، والكبر والبغي، والحسد والضعف والشك، والوهن والضرّ والأسقام، والخذلان والمكر والخديعة، والبلية والفساد، من سمعي وبصري وجميع جوارحي، وخذ بناصيتي إلى ما تحبّ وترضى، يا أرحم الراحمين.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد واغفر ذنبي، واستر عورتي، وآمن روعتي، واجبر معصيتي، واغنِ فقري، ويسّر حاجتي، وأقلني عثرتي، واجمع شملي، واكفني ما أهمّني، وما غاب عنّي وما يضرّني، وما أتخوّفه منك، يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ فوّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وأسلمت نفسي إليك بما جنيت عليها، فرقاً منك وخوفاً وطمعاً، وأنت الكريم الذي لا يقطع الرجاء، ولا يخيّب الدعاء. فأسألك بحقّ إبراهيم خليلك، وموسى كليمك، وعيسى روحك، ومحمّد صفيّك ونبيّك، ألّا تصرف وجهك الكريم عنّي، حتّى تقبل توبتي، وترحم عبرتي، وتغفر لي خطيئتي، يا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين.

اللّهمَّ اجعل ثاري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، اللّهمَّ لا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدُّنيا أكبر همّي ولا مبلغ علمي، إلهي أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي من كلّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلّ شرّ.

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّي، اللّهمَّ أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، والعدل في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وقرّة عين لا ينقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك لذّة النظر إلى وجهك.

اللّهمَّ إنّي أستهديك لإرشاد أمري، وأعوذ بك من شرّ نفسي، اللّهمَّ عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، اللّهمَّ إنّي أسألك تعجيل عافيتك، وصبراً على بليّتك، وخروجاً من الدُّنيا إلى رحمتك.

اللّهمَّ إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك، وأُشهد من في السماوات ومن في الأرض، أنّك أنت الله لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت، بديع السماوات والأرض، يا كائن قبل أن يكون شيء، والمكوّن لكلّ شيء، والكائن بعدما لا يكون شيء. اللّهمَّ إلى رحمتك رفعت بصري، وإلى جودك بسطت كفّي، فلا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذّبني وأنا أستغفرك، اللّهمَّ فاغفر لي فإنّك بي عالم، ولا تعذّبني فإنّك عليَّ قادر، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهمَّ ذا الرحمة الواسعة والصلاة النافعة الرافعة، صلِّ على أكرم خلقك عليك، وأحبّهم إليك، وأوجههم لديك، محمّد عبدك ورسولك، المخصوص بفضائل الوسائل، أشرف وأكمل وأرفع وأعظم وأكرم ما صلّيت على مبلّغ عنك، مؤتمن على وحيك. اللّهمَّ كما سددتَ به العمى، وفتحت به الهُدى، فاجعل مناهج سُبله لنا سنناً، وحجج برهانه لنا سبباً، نأتمّ به إلى القدوم عليك.

اللّهمَّ لك الحمد ملأ السماوات السبع، وملأ طباقهنّ، وملأ الأرضين السبع، وملأ ما بينهما، وملأ عرش ربّنا الكريم وميزان ربّنا الغفّار، ومداد كلمات ربّنا القهّار، وملأ الجنّة وملأ النار، وعدد الماء والثرى، وعدد ما يُرى وما لا يُرى.

اللّهمَّ واجعل صلواتك وبركاتك، ومنّك ومغفرتك، ورحمتك ورضوانك، وفضلك وسلامتك، وذكرك ونورك، وشرفك ونعمتك وخيرتك على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيد.

اللّهمّ اعط محمّداً الوسيلة العظمى، وكريم جزائك في العُقبى، حتّى تشرّفه يوم القيامة، يا إله الهدى.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وعلى جميع ملائكتك وأنبيائك ورسلك، سلامٌ على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وحملة العرش وملائكتك المقرّبين، والكرام الكاتبين والكروبيين، وسلامٌ على ملائكتك أجمعين.

وسلامٌ على أبينا آدم وعلى أُمّنا حوّاء، وسلامٌ على النبيّين أجمعين، والصدّيقين والشهداء والصالحين، وسلامٌ على المرسلين أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وحسبي الله ونعم الوكيل، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم كثيراً[1].

٨ ـ دعاؤها عليها السلام في تعقيب صلاة المغرب:

الحمد لله الذي لا يَحصي مدحه القائلون، والحمد لله الذي لا يحصي نعماءه العادّون، والحمد لله الذي لا يؤدّي حقّه المجتهدون، ولا إله إلّا الله الأوّل والآخر، ولا إله إلّا الله الظاهر والباطن، ولا إله إلّا الله المحيي المميت، والله أكبر ذو الطول، والله أكبر ذو البقاء الدائم. والحمد لله الذي لا يدرك العالمون علمه ولا يستخفّ الجاهلون حلمه، ولا يبلغ المادحون مدحه، ولا يصف الواصفون صفته، ولا يحسن الخلق نعته.

والحمد لله ذي الملك والملكوت، والعظمة والجبروت، والعزّ والكبرياء، والبهاء والجلال، والمهابة والجمال، والعزّة والقدرة، والحول والقوّة، والمنّة والغلبة، والفضل والطول، والعدل والحقّ، والخلق والعلاء، والرفعة والمجد، والفضيلة والحكمة، والغناء والسعة، والبسط والقبض، والحلم والعلم، والحجّة البالغة، والنعمة السابغة، والثناء الحسن الجميل والآلاء الكريمة، ملك الدُّنيا والآخرة والجنّة والنار، وما فيهنّ تبارك وتعالى.

الحمد لله الذي علم أسرار الغيوب، واطّلع على ما تجن القلوب، فليس عنه مذهب ولا مهرب، والحمد لله المتكبِّر في سلطانه، العزيز في مكانه، المتجبّر في

(١) فلاح السائل: ٢٠٢.

ملكه، القويّ في بطشه، الرفيع فوق عرشه، المطّلع على خلقه، والبالغ لما أراد من علمه.

الحمد لله الذي بكلماته قامت السماوات الشداد، وثبتت الأرضون المهاد، وانتصبت الجبال الرواسي الأوتاد، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جوّ السماء السحاب، ووقفت على حدودها البحار، ووجلت القلوب من مخافته، وانقمعت الأرباب لربوبيّته، تباركت يا محصي قطر المطر وورق الشجر، ومُحيي أجساد الموتى للحشر، سبحانك يا ذا الجلال والإكرام، ما فعلت بالغريب الفقير إذا أتاك مستجيراً مستغيثاً، ما فعلت بمن أناخ بفنائك وتعرّض لرضاك، وغدا إليك، فجثا بين يديك، يشكو إليك ما لا يخفى عليك، فلا يكوننّ ياربّ حظّي من دعائي الحرمان، فلا يكون نصيبي ممّا أرجو منك الخذلان، يا من لم يزل، ولا يزول كما لم يزل، قائماً على كلّ نفس بما كسبت، يا من جعل أيّام الدُّنيا تزول، وشهورها تحول، وسنيّها تدور، وأنت الدائم لا تبليك الأزمان، ولا تغيّرك الدهور.

يا من كلّ يوم عنده جديد، وكلّ رزق عنده عتيد، للضعيف والقوي والشديد، قسّمت الأرزاق بين الخلائق، فسوّيت بين الذرّة والعصفور.

اللّهمَّ إذا ضاق المقام بالناس، فنعوذ بك من ضيق المقام، اللّهمَّ إذا طال يوم القيامة على المجرمين، فقصّر ذلك اليوم علينا كما بين الصلاة إلى الصلاة.

اللّهمَّ إذا أدنيت الشمس من الجماجم، فكان بينها وبين الجماجم مقدار ميل، وزيد في حرّها حرّ عشر سنين، فإنّا نسألك أن تظلّنا بالغمام، وتنصب لنا المنابر والكراسي نجلس عليها، والناس ينطلقون في المقام، آمين ربّ العالمين.

أسألك اللّهمَّ بحقّ هذه المحامد، إلا غفرت لي وتجاوزت عنّي، وألبستني العافية في بدني، ورزقتني السلامة في ديني، فإنّي أسألك وأنا واثق بإجابتك إيّاي في مسألتي، وأدعوك وأنا عالم باستماعك دعوتي، فاستمع دعائي ولا تقطع رجائي، ولا ترد ثنائي، ولا تخيب دعائي، أنا محتاج إلى رضوانك، وفقير إلى غفرانك، وأسألك

ولا آيس من رحمتك، وأدعوك وأنا غير محترز من سخطك. ياربّ واستجب لي وامنن عليَّ بعفوك، وتوفّني مسلماً وألحقني بالصالحين، ربِّ لا تمنعني فضلك يا منّان، ولا تكلني إلى نفسي مخذولاً يا حنّان.

ربِّ ارحم عند فراق الأحبّة صرعتي، وعند سكون القبر وحدتي، وفي مفازة القيامة غربتي، وبين يديك موقوفاً للحساب فاقتي. ربِّ أستجير بك من النار فأجرني، ربِّ أعوذ بك من النار فأعذني، ربِّ أفزع إليك من النار فأبعدني، ربِّ أسترحمك مكروباً فارحمني. ربِّ أستغفرك لما جهلت فاغفر لي، ربِّ قد أبرزني الدعاء للحاجة إليك فلا تؤيسني، ياكريم ذا الآلاء والإحسان والتجاوز.

سيّدي يا برّ يا رحيم، استجب بين المتضرّعين إليك دعوتي، وارحم بين المنتحبين بالعويل عبرتي، واجعل في لقائك يوم الخروج من الدُّنيا راحتي، واستر بين الأموات يا عظيم الرجاء عورتي، واعطف عليَّ عند التحوّل وحيداً إلى حفرتي، إنّك أملي وموضع طلبتي، والعارف بما أُريد في توجيه مسألتي. فاقض يا قاضي الحاجات حاجتي، فإليك المشتكى وأنت المستعان والمرتجى، أفرّ إليك هارباً من الذنوب فاقبلني، وألتجيء من عدلك إلى مغفرتك فأدركني، وألتاذ بعفوك من بطشك فامنعني، واستروح رحمتك من عقابك فنجّني، وأطلب القربة منك بالإسلام فقرّبني، ومن الفزع الأكبر فآمنّي، وفي ظلّ عرشك فظلّلني، وكفلين من رحمتك فهب لي، ومن الدُّنيا سالماً فنجّني، ومن الظلمات إلى النور فأخرجني، ويوم القيامة فبيّض وجهي، وحساباً يسيراً فحاسبني، وبسرائري فلا تفضحني، وعلى بلائك فصبّرني، وكما صرفت عن يوسف السوء والفحشاء فاصرفه عنّي، وما لا طاقة لي به فلا تحمّلني، وإلى دار السلام فاهدني، وبالقرآن فانفعني، وبالقول الثابت فثبّتني، ومن الشيطان الرجيم فاحفظني، وبحولك وقوّتك وجبروتك فاعصمني، وبحلمك وعلمك وسعة رحمتك من جهنّم فنجّني، وجنّتك الفردوس فأسكنّي، والنظر إلى وجهك فارزقني، وبنبيّك محمّد فألحقني، ومن الشياطين وأوليائهم ومن شرّ كلّ ذي شرّ فاكفني.

اللّهمَّ وأعدائي ومن كادني إن أتوا براً فجبّن شجعهم، فِضَّ جموعهم، كلّل

سلاحهم، عرقب دوابهم، سلّط عليهم العواصف والقواصف أبداً حتّى تصليهم النار، أنزلهم من صياصيهم، وأمكّنا من نواصيهم، آمين ربّ العالمين.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، صلاةً يشهد الأوّلون مع الأبرار وسيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وقائد الخير ومفتاح الرحمة.

اللّهمَّ ربَّ البيت الحرام والشهر الحرام، وربّ المشعر الحرام، وربّ الركن والمقام، وربّ الحل والإحرام، بلِّغ روح محمّد منّا التحيّة والسلام.

سلامٌ عليك يارسول الله، سلامٌ عليك يا أمين الله، سلامٌ عليك يا محمّد بن عبدالله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فهو كما وصفته بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.

اللّهمَّ اعطه أفضل ما سألك، وأفضل ما سئلت له، وأفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة، آمين ياربّ العالمين[1].

٩ ـ دعاؤها عليها السلام في تعقيب صلاة العشاء:

سبحان من تواضع كلّ شيء لعظمته، سبحان من ذلّ كلّ شيء لعزّته، سبحان من خضع كلّ شيء بأمره وملكه، سبحان من انقادت له الأُمور بأزمّتها.

الحمد لله الذي لا ينسى مَنْ ذكره، الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه، الحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله سامك السماء، وساطح الأرض، وحاصر البحار، ناضد الجبال، وبارئ الحيوان، وخالق الشجر، وفاتح ينابيع الأرض، ومدبّر الأُمور، ومسيِّر السحاب، ومجري الريح والماء والنار من أغوار الأرض، متسارعات في الهواء، ومهبط الحرّ والبرد، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبشكره تستوجب الزيادات، وبأمره قامت السماوات، وبعزّته استقرّت الراسيات، وسبّحت الوحوش في الفلوات والطير في البركات.

الحمد لله رفيع الدرجات، مُنزل الآيات، واسع البركات، ساتر العورات،

---

(١) البحار: ٨٣/ ١٠٢ ح ٨٠.

قابل الحسنات، مُقيل العثرات، منفِّس الكربات، مُنزل البركات، مُجيب الدعوات، مُحيي الأموات، إله من في الأرض والسماوات.

الحمد لله على كلّ حمد وذكر، وشكر وصبر، وصلاة وزكاة، وقيام وعبادة، وسعادة وبركة، وزيادة ورحمة، ونعمة وكرامة، وفريضة، وسرّاء وضرّاء، وشدّة ورخاء، ومصيبة وبلاء، وعسر ويسر، وغناء وفقر، وعلى كلّ حال، وفي كلّ أوان وزمان، وكلّ مثوى ومنقلب ومقام.

اللّهمَّ إنّي عائذٌ بك فأعذني، ومستجيرٌ بك فأجرني، ومستعينٌ بك فأعنّي، ومستغيثٌ بك فأغثني، وداعيك فأجبني، ومستغفرك فاغفر لي، ومستنصرك فانصرني، ومستهديك فاهدني، ومستكفيك فاكفني، وملتجيءٌ إليك فآوني، ومستمسك بحبلك فاعصمني، ومتوكّل عليك فاكفني. واجعلني في عياذك وجوارك، وحرزك وكهفك، وحياطتك وحراستك، وكلاءتك وحرمتك، وأمنك وتحت ظلّك وتحت جناحك، واجعل عليَّ جُنّة واقية منك، واجعل حفظك وحياطتك، وحراستك وكلاءتك من ورائي وأمامي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي، وحواليّ، حتّى لا يصل أحد من المخلوقين إلى مكروهي وأذاي، بحقّ لاإله إلّا أنت، أنت المنّان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام.

اللّهمَّ اكفني حسد الحاسدين، وبغي الباغين، وكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحيلة المحتالين، وغيلة المغتالين، وظلم الظالمين، وجور الجائرين، واعتداء المعتدين، وسخط المسخطين، وتشحب المتشحّبين، وصولة الصائلين، واقتسار المقتسرين، وغشم الغاشمين، وخبط الخابطين، وسعاية الساعين، ونميمة النامّين، وسحر السحرة والمردة والشياطين، وجور السلاطين، ومكروه العالمين.

اللّهمّ إنّي أسألك باسمك المخزون الطيّب الطاهر، الذي قامت به السماوات والأرض، وأشرقت له الظلم وسبّحت له الملائكة، ووجلت منه القلوب، وخضعت له الرقاب، وأحييت به الموتى، أن تغفر لي كلّ ذنب أذنبته في ظلم الليل وضوء النهار، عمداً أو خطأً، سرّاً أو علانية. وأن تهبَ لي يقيناً وهُدىً، ونوراً وعلماً

وفهماً، حتّى أُقيم كتابك، وأحلّ حلالك وأُحرّم حرامك، وأُؤدّي فرائضك، وأُقيم سنّة نبيّك محمّد.

اللّهمَّ ألحقني بصالح من مضى، واجعلني من صالح من بقي، واختم لي عملي بأحسنه، إنّك غفور رحيم.

اللّهمَّ إذا فنى عمري، وتصرّمت أيّام حياتي، وكان لابدّ لي من لقائك، فأسألك يا لطيف أن توجب لي من الجنّة منزلاً، يغبطني به الأوّلون والآخرون.

اللّهمَّ اقبل مدحتي والتهافي، وارحم ضراعتي وهتافي، وإقراري على نفسي واعترافي، فقد أسمعتك صوتي في الداعين، وخشوعي في الضارعين، ومدحتي في القائلين، وتسبيحي في المادحين. وأنت مجيب المضطرّين، ومُغيث المستغيثين، وغياث الملهوفين، وحرز الهاربين، وصريخ المؤمنين، ومقيل المذنبين، وصلّى الله على البشير النذير والسراج المنير، وعلى الملائكة والنبيّين.

اللّهمَّ داحي المدحوّات، وبارئ المسموكات، وجبال القلوب على فطرتها، شقيّها وسعيدها، إجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك وكرائم تحيّاتك، على محمّد عبدك ورسولك وأمينك على وحيك، القائم بحجّتك، والذابّ عن حرمك، والصادع بأمرك، والمشيّد لآياتك، والموفي لنذرك.

اللّهمَّ فأعطه بكلّ فضيلة من فضائله، ونقيبة من مناقبه، وحال من أحواله ومنزلة من منازله، رأيت محمّداً لك فيها ناصراً، وعلى مكروه بلائك صابراً، ولمن عاداك معادياً، ولمن والاك موالياً، وعمّا كرهت نائياً، وإلى ما أحببت داعياً، فضائل من جزائك، وخصائص من عطائك وحبائك، تسني بها أمره، وتُعلي بها درجته، مع القوّام بقسطك، والذابّين عن حرمك، حتّى لا يبقى سناء ولا بهاء، ولا رحمة ولا كرامة، إلّا خصصت محمّداً بذلك وأتيته منك الذرى، وبلّغته المقامات العُلى، آمين ربّ العالمين.

اللّهمَّ إنّي أستودعك ديني ونفسي وجميع نعمتك عليَّ، فاجعلني في كنفك

وحفظك، وعزّك ومنعك، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك، ولا إله غيرك، حسبي أنت في السرّاء والضرّاء، والشدّة والرخاء، ونعم الوكيل.

ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا، واغفر لنا ربّنا إنّك أنت العزيز الحكيم. ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم، إنّ عذابها كان غراما، إنّها ساءت مستقرّاً ومقاما، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ، وأنت خير الفاتحين.

ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفّر عنّا سيّئاتنا، وتوفّنا مع الأبرار، ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة، إنّك لا تخلف الميعاد.

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين. ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار، وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبيّ وآله الطاهرين وسلّم تسليماً[1].

١٠ ـ دعاؤها عليها السلام بعد كلّ صلاة:

سبحان الله ـ عشراً. الحمد لله ـ عشراً. الله أكبر ـ عشراً.

١١ ـ دعاؤها عليها السلام بعد كلّ صلاة:

الله أكبر ـ أربعاً وثلاثين. الحمد لله ـ ثلاثاً وثلاثين. سبحان الله ـ ثلاثاً وثلاثين. لا إله إلّا الله ـ مرّة واحدة[2].

١٢ ـ دعاؤها عليها السلام في الصباح، المسمّى بدعاء الحريق:

اللّهمَّ إنّي أصبحت أشهدك وكفى بك شهيداً، وأُشهد ملائكتك وحَمَلة عرشك، وسكّان سماواتك وأرضيك، وأنبياءك ورُسلك، والصالحين من عبادك وجميع خلقك.

---

(١) فلاح السائل: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) هو تسبيح الزهراء المعروف.

بأنّك أنت الله لا إله إلّا أنت، وحدك لا شريك لك، وأنّ كلّ معبود من دون عرشك إلى قرار الأرضين السابعة السفلى باطل ما خلا وجهك الكريم. فإنّه أعزّ وأكرم وأجلّ من أن يصف الواصفون كنه جلاله، أو تهتدي القلوب لكلّ عظمته.

يا من فاق مدح المادحين فخر مدحه، وعدا وصف الواصفين مآثر حمده، وجلّ عن مقالة الناطقين تعظيم شأنه ـ تقول ذلك ثلاثاً. ثمّ تقول: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ـ تقول ذلك أحد عشر مرّة.

ثمّ تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر، ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، الحليم الكريم، العليّ العظيم، الرحمان الرحيم، الملك الحقّ المبين، عدد خلق الله، وزِنة عرشه، وملء سماواته وأرضه، وعدد ما جرى به قلمه، وأحصاه كتابه، ورضا نفسه ـ تقول ذلك أحد عشر مرّة.

ثمّ تقول: اللّهمَّ صلِّ على محمّد وأهل بيته المباركين، وصلِّ على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة عرشك، والملائكة المقرّبين، صلِّ اللّهمَّ عليهم حتّى تبلغهم الرضا، وتزيدهم بعد الرضا، ممّا أنت أهله، يا أرحم الراحمين.

اللّهمَّ صلِّ على ملك الموت وأعوانه، ورضوان وخزنة الجنان، وصلِّ على مالك وخزنة النيران، اللّهمّ صلِّ عليهم حتّى تبلغهم الرضا، وتزيدهم بعد الرضا، ممّا أنت أهله، يا أرحم الراحمين، اللّهمَّ وصلِّ على الكرام الكاتبين، والسفرة الكرام البررة، والحفظة لبني آدم، وصلِّ على ملائكة السماوات العلى، وملائكة الأرضين السابعة السفلى وملائكة الليل والنهار، والأرضين والأقطار، والبحار والأنهار، والبراري والقفار، وصلِّ على ملائكتك، الذين أغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك. اللّهمَّ صلِّ عليهم حتّى تبلغهم الرضا وتزيدهم بعد الرضا ممّا أنت أهله، يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ وصلِّ على أبي آدم وأُمّي حوّاء، وما ولدا من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، صلِّ اللّهمَّ عليهم حتّى تبلغهم الرضا وتزيدهم بعد الرضا ممّا أنت أهله،

يا أرحم الراحمين، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين، وعلى أصحابه المنتجبين وأزواجه المطهّرين، وعلى ذرّية محمّد وعلى كلّ نبيّ بشّر بمحمّد، وعلى كلّ نبيّ ولد محمّداً، وعلى كلّ امرأة صالحة كفلت محمّداً، وعلى كلّ من صلاتك عليه رضا لك ورضا لنبيّك محمّد. صلِّ اللّهمَّ عليهم حتّى تبلغهم الرضا وتزيدهم بعد الرضا ممّا أنت أهله، يا أرحم الراحمين.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، كما صلّيت وباركت ورحمت، على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد، اللّهمَّ اعطِ محمّداً الوسيلة والفضل والفضيلة والدرجة الرفيعة.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كما أمرتنا أن نصلّي عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد من صلّى عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد كلّ صلاة صُلّيت عليه.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد كلّ حرف في صلاة صلّيت عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد شعر من صلّى عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد شعر من لم يصلِّ عليه. اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد نفس من صلّى عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد نفس من لم يصلِّ عليه، اللّهمَّ صلِّ على سكون من صلّى عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد حركة من صلّى عليه، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد بعدد حركاتهم ودقائقهم وساعاتهم، وعدد زنة ذرّ ما عملوا أو لم يعملوا، أو كان منهم أو يكون إلى يوم القيامة.

اللّهمَّ لك الحمد والشكر، والمنّ والفضل، والطول والنعمة، والعظمة والجبروت، والملك والملكوت، والقهر والفخر، والسؤدد والسلطان، والإمتنان والكرم، والجلال والجبر، والتوحيد والتمجيد، والتهليل والتكبير، والتقديس والعظمة، والرحمة والمغفرة والكبرياء، ولك ما زكي وطاب من الثناء الطيّب، والمدح[1] الفاخر والقول الحسن الجميل، الذي ترضى به عن قائله وترضى به ممّن قاله، وهو رضاك. فتقبّل حمدي بحمد أوّل الحامدين، وثنائي بثناء أوّل المثنين،

(١) في نسخة: المديح.

وتهليلي بتهليل أوّل المتهلّلين، وتكبيري بتكبير أوّل المكبّرين، وقولي الحسن الجميل بقول أوّل القائلين المجملين المثنين على ربّ العالمين، متّصلاً ذلك كذلك من أوّل الدهر إلى يوم القيامة. وبعدد زنة ذرّ الرمال والتلال والجبال، وعدد جرع ماء البحار، وعدد قطر الأمطار، وورق الأشجار، وعدد النجوم، وعدد زنة ذلك، وعدد الثرى والنوى والحصى، وعدد زنة ذرّ السماوات والأرض، وما فيهنّ وما بينهنّ وما تحتهنّ، وما بين ذلك، وما فوق ذلك، من لدن العرش إلى قرار الأرض السابعة السفلى. وعدد حروف ألفاظ أهلهنّ، وعدد أزمانهم[1] ودقائقهم وسكونهم وحركاتهم وأشعارهم[2] وأبشارهم، وعدد زنة ما عملوا أو لم يعملوا، أو كان منهم أو يكون إلى يوم القيامة.

أعيذ أهل بيت محمّد صلّى الله عليه وآله، ونفسي ومالي وذرّيتي وأهلي وولدي وقراباتي وأهل بيتي، وكلّ ذي رحم لي دخل في الإسلام وجيراني وإخواني، ومن قلّدني دعاءً أو أسدى إليَّ برّاً، أو اتّخذ عندي يداً من المؤمنين والمؤمنات، بالله وبأسمائه التامّة الشاملة الكاملة، الفاضلة المباركة، المتعالية والزكية، الشريفة المنيعة، الكريمة العظيمة، المكنونة المخزونة، التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر، وبأمّ الكتاب وخاتمته وما بينهما، من سورة شريفة وآية محكمة، وشفاء ورحمة، وعوذة وبركة، وبالتوراة والإنجيل والزبور، وبصحف إبراهيم وموسى، وبكلّ كتاب أنزل الله، وبكلّ رسول أرسل الله، وبكلّ حجّة أقامها الله، وبكلّ برهان أظهره الله، وبكلّ نور أناره الله، وبكلّ آلاء الله وعظمته.

أعيذ وأستعيذ بالله من شرّ كلّ ذي شرّ ومن شرّ ما أخاف وأحذر، ومن شرّ ما ربي تبارك وتعالى منه أكبر، ومن شرّ فسقة الجنّ والإنس، والشياطين والسلاطين، وإبليس وجنوده وأشياعه وأتباعه، ومن شرّ ما في النور والظلمة. ومن شرّ ما دهم أو هجم، ومن شرّ كلّ همٍّ وغمٍّ وآفة وندم، ومن شرّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شرّ ما يلج في الأرض وما يخرج منها، ومن شرّ كلّ دابّة ربّي آخذ بناصيتها، إنّ

---

(١) في نسخة: أرماقهم.

(٢) في نسخة: شعائرهم.

ربّي على صراط مستقيم، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت، وهو ربّ العرش العظيم[١].

١٣ ـ دعاؤها عليها السلام في الصباح والمساء:

يا حيّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه[٢].

١٤ ـ دعاؤها عليها السلام لقضاء الحوائج:

يا أعزّ مذكور، وأقدمه قدماً في العزّ والجبروت، يا رحيم كلّ مسترحم، ومفزع كلّ ملهوف إليه، يا راحم كلّ حزين يشكو بثّه وحزنه إليه، يا خير من سئل المعروف منه وأسرعه إعطاء، يا من يخاف الملائكة المتوقّدة بالنور منه، أسألك بالأسماء التي يدعوك بها حملة عرشك، ومن حول عرشك بنورك يسبّحون شفقة من خوف عقابك، وبالأسماء التي يدعوك بها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل إلّا أجبتني، وكشفت يا إلهي كربتي، وسترت ذنوبي.

يا من أمر بالصيحة في خلقه، فإذا هم بالساهرة محشورون، وبذلك الإسم الذي أحييت به العظام وهي رميم، أحيي قلبي، واشرح صدري، وأصلح شأني، يا من خصّ نفسه بالبقاء، وخلق لبريّته الموت والحياة والفناء، يا من فعله قول، وقوله أمر، وأمره ماض على ما يشاء.

أسألك بالإسم الذي دعاك به خليلك حين أُلقي في النار، فدعاك به، فاستجبت له وقلت: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٣]، وبالإسم الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن، فاستجبت له، وبالإسم الذي خلقت به عيسى من روح القدس، وبالإسم الذي وهبت به لزكريا يحيى، وبالإسم الذي كشفت به عن أيّوب الضرّ، وبالإسم الذي تبت به على داود، وسخّرت به لسليمان الريح تجري بأمره،

---

(١) بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٠٧.
(٢) بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٠٥ ح ٣٨.
(٣) سورة الأنبياء: ٦٩.

والشياطين، وعلّمته منطق الطير، وبالاسم الذي خلقت به العرش، وبالإسم الذي خلقت به الكرسي، وبالاسم الذي خلقت به الروحانيين، وبالإسم الذي خلقت به الجنّ والإنس، وبالإسم الذي خلقت به جميع الخلق، وبالإسم الذي خلقت به جميع ما أردت من شيء، وبالإسم الذي قدرت به على كلّ شيء، أسألك بحقّ هذه الأسماء، إلّا ما أعطيتني سؤلي وقضيت حوائجي يا كريم[1].

١٥ ـ دعاؤها عليها السلام لقضاء الحوائج:

ياربّ الأوّلين والآخرين، ويا خير الأوّلين والآخرين، يا ذا القوّة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين.

وفي رواية: يا أوّل الأوّلين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوّة المتين، ويا أرحم الراحمين، اغنا واقض حاجتنا[2].

١٦ ـ دعاؤها عليها السلام لقضاء الحوائج أيضاً:

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه.

ثمّ يسأل الله عزّوجلّ ما يريد[3].

١٧ ـ دعاؤها عليها السلام لقضاء الدين وتيسير الأمور:

اللّهمّ ربّنا وربّ كلّ شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنوى، أعوذ بك من شرّ كلّ دابّة أنت آخذٌ بناصيتها. أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، صلّ على محمّد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السلام، واقض عنّي الدين، واغنني من الفقر، ويسّر لي كلّ الأمر، يا أرحم الراحمين.

---

(١) دلائل الإمامة: ٧٣.

(٢) الدعوات للراوندي: ٤٨.

(٣) فلاح السائل: ٢٥١.

وفي رواية: اللّهمَّ ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، ربّنا وربّ كلّ شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنوى، أعوذ بك من كلّ شيء أنت آخذٌ بناصيته.

أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّي الدين واغنني من الفقر.

وفي رواية: اللّهمَّ ربّ السماوات وربّ الأرضين وربّ كلّ شيء، فالق الحبّ والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من كلّ ذي شرّ أنت آخذٌ بناصيته. أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، والظاهر فليس فوقك شيء، والباطن فليس دونك شيء، اقض عنّي الدين واغنني من الفقر[1].

١٨ ـ دعاؤها عليها السلام لدفع الشدائد:

روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علّم عليّاً وفاطمة عليهما السلام هذا الدعاء وقال لهما: إن نزلت بكما مصيبة أو خفتما جور السلطان أو ضلّت لكما ضالّة، فأحسنا الوضوء وصلّيا ركعتين وارفعا أيديكما إلى السماء وقولا:

عالم الغيب والسرائر، يا مطاع يا عليم، يا الله يا الله يا الله، يا هازم الأحزاب لمحمّد صلى الله عليه وآله، يا كائد فرعون لموسى، يا منجي عيسى من الظلمة، يا مخلّص قوم نوح من الغرق، يا راحم عبده يعقوب، يا كاشف ضرّ أيّوب، يا منجي ذي النون من الظلمات، يا فاعل كلّ خير، يا هادياً إلى كلّ خير، يا دالّاً على كلّ خير، يا آمراً بكلّ خير، يا خالق الخير، يا أهل الخيرات، أنت الله رغبت إليك فيما قد علمت وأنت علّام الغيوب، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد. ثمّ اسألا الحاجة تُجاب إن شاء الله تعالى[2].

---

(١) صحيفة فاطمة: ١٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ٨/ ٢١٤.

١٩ ـ دعاؤها عليها السلام للأمر العظيم:

بحقّ يس والقرآن الحكيم، وبحقّ طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفّساً عن المكروبين، يا مفرّجاً عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صلِّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا وكذا[1].

٢٠ ـ دعاؤها عليها السلام لقضاء الحوائج:

روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علّم عليّاً وفاطمة عليهما السلام وقال: يصلّي أحدكما ركعتين، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي ـ ثلاث مرّات، و«قل هو الله أحد» ـ ثلاث مرّات، وآخر الحشر ـ ثلاث مرّات، من قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخره، فإذا جلس فليتشهّد وليثن على الله وليصلِّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وليدع للمؤمنين والمؤمنات، ثمّ يدعو على إثر ذلك فيقول: اللّهمَّ إنّي أسألك بحقّ كلّ اسم هو لك، يحقّ عليك فيه إجابة الدعاء إذا دعيت به، وأسألك بحقّ كلّ ذي حقّ عليك، وأسألك بحقّك على جميع ما هو دونك أن تفعل بي كذا وكذا[2].

٢١ ـ دعاؤها عليها السلام في تفريج الهموم والغموم بعد صلاتها عليها السلام:

عن الصادق عليه السلام: كان لأمّي فاطمة عليها السلام صلاة تصلّيها علّمها جبرئيل، ركعتان تقرأ في الأولى الحمد مرّة، و«إنّا أنزلناه في ليلة القدر»، وفي الثانية: الحمد مرّة ومائة مرّة «قل هو الله أحد» فإذا سلّمت سبّحت تسبيح الطاهرة عليها السلام، وهو التسبيح الذي تقدّم[3]، وتكشف عن ركبتيك وذراعيك على المصلّى، وتدعو بهذا الدعاء، وتسأل حاجتك تعطها إن شاء الله تعالى، والدعاء: [أن] ترفع يديك بعد الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وتقول: اللّهمَّ إنّي أتوجّه إليك بهم، وأتوسّل إليك بحقّهم، الذي لا يعلم كنهه سواك، وبحقّ من حقّه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنى وكلماتك التامّات التي

---

(١) الدعوات للراوندي: ٥٤ ح ١٣٧.

(٢) جمال الأسبوع: ٩٠.

(٣) المراد به التسبيح الذي ذكرناه تحت الرقم ١.

أمرتني أن أدعوك بها. وأسألك باسمك العظيم الذي أمرت إبراهيم عليه السلام أن يدعو به الطير فأجابته، وباسمك العظيم الذي قلت للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فكانت. وبأحبّ أسمائك إليك، وأشرفها عندك، وأعظمها لديك، وأسرعها إجابة، وأنجحها طلبة، وبما أنت أهله ومستحقّه ومستوجبه.

وأتوسّل إليك، وأرغب إليك، وأتصدّق منك، وأستغفرك، وأستمنحك[1]، وأتضرّع إليك وأخضع بين يديك، وأخشع لك، وأقرّ لك بسوء صنيعتي، وأتملّق وألحّ عليك، وأسألك بكتبك التي أنزلتها على أنبيائك ورسلك، صلواتك عليهم أجمعين، من التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، من أوّلها إلى آخرها، فإنّ فيها إسمك الأعظم، وبما فيها من أسمائك العظمى أتقرّب إليك، وأسألك أن تصلّي على محمّد وآله، وأن تفرّج عن محمّد وآله، وتجعل فرجي مقروناً بفرجهم، وتقدّمهم في كلّ خير وتبدأ بهم فيه، وتفتح أبواب السماء لدعائي في هذا اليوم، وتأذن في هذا اليوم، وهذه الليلة بفرجي، وإعطائي سؤلي في الدُّنيا والآخرة. فقد مسّني الفقر، ونالني الضرّ، وسلمتني الخصاصة، وألجأتني الحاجة، وتوسّمت بالذلّة، وغلبتني المسكنة، وحقّت عليَّ الكلمة، وأحاطت بي الخطيئة.

وهذا الوقت الذي وعدت أولياءك فيه الإجابة، فصلّ على محمّد وآله وامسح ما بي بيمينك الشافية، وانظر إليَّ بعينك الراحمة، وأدخلني في رحمتك الواسعة، وأقبل إليَّ بوجهك، الذي إذا أقبلت به على أسير فككته، وعلى ضالٍّ هديته، وعلى غائب[2] أدّيته، وعلى مقتر أغنيته، وعلى ضعيف قوّيته، وعلى خائف أمنته، ولا تخلّني لقاء عدوّك وعدوّي، يا ذا الجلال والإكرام، يا من لا يعلم كيف هو، وحيث هو وقدرته إلّا هو، يا من سدّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، يا من سمّى نفسه بالإسم الذي به يقضي حاجة كلّ طالب يدعوه به. وأسألك بذلك الإسم، فلا شفيع أقوى لي منه وبحقّ محمّد وآله محمّد،

(١) في نسخة: أستميحك.
(٢) في نسخة: حائر، جائر.

أسألك أن تصلّي على محمّد وأن تقضي لي حوائجي، وتسمع محمّداً وعليّاً وفاطمة، والحسن والحسين، وعلياً ومحمّداً، وجعفراً وموسى، وعليّاً ومحمّداً وعليّاً، والحسن والحجّة صلواتك عليهم وبركاتك ورحمتك، صوتي، فيشفعوا لي إليك وتشفعهم فيّ، ولا تردّني خائباً، بحقّ لا إله إلّا أنت، وبحقّ محمّد وآل محمّد، وافعل بي كذا وكذا يا كريم[١].

٢٢ ـ دعاؤها عليها السلام للخلاص من المهالك:

روي أنّ رجلاً كان محبوساً بالشام مدّة طويلة مضيّقاً عليه، فرأى في منامه كأنّ الزهراء عليها السلام أتته، فقالت له: أدع بهذا الدعاء، فتعلّمه ودعا به، فتخلّص ورجع إلى منزله، وهو: اللّهمّ بحقّ العرش ومن علاه، وبحقّ الوحي ومن أوحاه، وبحقّ النبيّ ومن نبّأه، وبحقّ البيت ومن بناه، يا سامع كلّ صوت، ويا جامع كلّ فوت، يا بارئ النفوس بعد الموت، صلّ على محمّد وأهل بيته، وآتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها، فرجاً من عندك عاجلاً. بشهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، صلّى الله عليه وعلى ذرّيته الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً[٢].

٢٣ ـ دعاؤها عليها السلام بالأحراز:

بسم الله الرحمن الرحيم يا حيّ يا قيوم، برحمتك أستغيث فأغثني، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه.

وفي رواية: يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، اللّهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه[٣].

٢٤ ـ دعاؤها عليها السلام في العوذة للحمى:

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور.

---

(١) جمال الأسبوع: ١٧٣.

(٢) المجتنى من دعاء المجتبى: ٥٠.

(٣) اللمعة البيضاء: ٢٨٤.

الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور في رقٍّ منشور، بقدر مقدور، على نبيٍّ محبور. الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

وفي رواية: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله الذي يقول للشيء كن فيكون، بسم الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور. بسم الله الذي خلق النور من النور، بسم الله الذي هو بالمعروف مذكور، بسم الله الذي أنزل النور على الطور، بقدر مقدور، في كتاب مسطور، على نبيٍّ محبور[١].

٢٥ ـ دعاؤها عليها السلام في العوذة للحمّى أيضاً:

اللّهمَّ لا إله إلّا أنت العليّ العظيم، ذو السلطان القديم، والمنّ العظيم، والوجه الكريم، لا إله إلّا أنت العليّ العظيم، وليّ الكلمات التامّات، والدعوات المستجابات، حلّ ما أصبح بفلان[٢].

٢٦ ـ دعاؤها عليها السلام في العوذة للحمّى أيضاً:

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم، يا أُمّ مِلدَم[٣] إن كنت آمنت بالله العظيم ورسوله الكريم، فلا تهشمي العظم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، اخرجي من حامل كتابي هذا إلى من لا يؤمن بالله العظيم ورسوله الكريم وآله، محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٤].

٢٧ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم السبت:

اللّهمّ افتح لنا خزائن رحمتك، وهب لنا اللّهمَّ رحمةً لا تعذّبنا بعدها في الدُّنيا

---

(١) مهج الدعوات: ٥.

(٢) البحار: ٩٢/٣٦.

(٣) وهي كنية الحمى كما في عدة أخبار.

(٤) مكارم الأخلاق: ٤٠١.

والآخرة، وارزقنا من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيّباً، ولا تحوجنا ولا تفقرنا إلى أحد سواك، وزدنا لك شكراً، وإليك فقراً وفاقة، وبك عمّن سواك غنىً وتعفّفاً.

اللّهمَّ وسّع علينا في الدُّنيا، اللّهمَّ إنّا نعوذ بك أن تزوي وجهك عنّا في حال ونحن نرغب إليك فيه.

اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأعطنا ما تحبّ، واجعله لنا قوّة فيما تحب يا أرحم الراحمين[١].

٢٨ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم الأحد:

اللّهمَّ اجعل أوّل يومي هذا فلاحاً، وآخره نجاحاً، وأوسطه صلاحاً، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، واجعلنا ممّن أناب إليك فقبلته، وتوكّل عليك فكفيته، وتضرّع إليك فرحمته[٢].

٢٩ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم الاثنين:

اللّهمَّ إنّي أسألك قوّةً في عبادتك، وتبصّراً في كتابك، وفهماً في حكمك، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، ولا تجعل القرآن بنا ماحلاً، والصراط زائلاً، ومحمّد صلّى الله عليه وآله عنّا مولّياً[٣].

٣٠ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم الثلاثاء:

اللّهمَّ اجعل غفلة الناس لنا ذكراً، واجعل ذكرهم لنا شكراً، واجعل صالح ما نقول بألسنتنا نيّةً في قلوبنا، اللّهمَّ إنّ مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، ووفّقنا لصالح الأعمال والصواب من الفعال[٤].

---

(١) البحار: ٨٧/٣٣٨، والبلد الأمين: ١٠١.
(٢) البحار: ٨٧/٣٣٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

٣١ ـ دعاؤها ﷺ في يوم الأربعاء:

اللّهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، وركنك الذي لا يرام، وبأسمائك العظام، وصلِّ على محمّد وآله، واحفظ علينا ما لو حفظه غيرك ضاع، واستر علينا ما لو ستره غيرك شاع، واجعل كلّ ذلك لنا مطواعاً، إنّك سميع الدعاء، قريبٌ مجيب[١].

٣٢ ـ دعاؤها ﷺ في يوم الخميس:

اللّهمَّ إنّي أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، والعمل بما تحبّ وترضى، اللّهمَّ إنّي أسألك من قوّتك لضعفنا، ومن غناك لفقرنا وفاقتنا، ومن حلمك وعلمك لجهلنا، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأعنّا على شكرك وذكرك، وطاعتك وعبادتك، برحمتك يا أرحم الراحمين[٢].

٣٣ ـ دعاؤها ﷺ في يوم الجمعة:

اللّهمَّ اجعلنا من أقرب من تقرّب إليك، وأوجه من توجّه إليك، وأنجح من سألك وتضرّع إليك، اللّهمّ اجعلنا ممّن كأنّه يراك إلى يوم القيامة الذي فيه يلقاك، ولا تمتنا إلّا على رضاك، اللّهمَّ واجعلنا ممّن أخلص لك بعمله، وأحبّك في جميع خلقك، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، واغفر لنا مغفرة جزماً حتماً لا نقترف بعدها ذنباً، ولا نكتسب خطيئةً ولا إثماً، اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، صلاةً ناميةً دائمةً زاكيةً متتابعةً، متواصلةً مترادفةً، برحمتك يا أرحم الراحمين[٣].

٣٤ ـ دعاؤها ﷺ في يوم الجمعة أيضاً:

روي عن صفوان أنّه قال: دخل محمّد بن علي الحلبي على أبي عبدالله ﷺ في يوم الجمعة، فقال له: تعلّمني أفضل ما أصنع في هذا اليوم، فقال: يا محمّد ما أعلم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أنّ أحداً كان أكبر عند رسول الله ﷺ من فاطمة، ولا أفضل ممّا علّمها أبوها محمّد بن عبدالله ﷺ قال: من أصبح يوم الجمعة فاغتسل وصفّ قدميه وصلّى أربع ركعات مثنى مثنى، يقرأ في أوّل ركعة فاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد» خمسين مرّة، وفي الثانية فاتحة الكتاب والعاديات خمسين مرّة، وفي الثالثة فاتحة الكتاب و«إذا زلزلت» خمسين مرّة، وفي الرابعة فاتحة الكتاب و«إذا جاء نصر الله والفتح» خمسين مرّة ـ وهذه سورة النصر وهي آخر سورة نزلت ـ فإذا فرغ منها دعا فقال: إلهي وسيّدي من تهيّأ أو تعبّأ، أو أعد أو استعدّ، لوفادة مخلوق رجاء رفده وفوائده ونائله، وفواضله وجوائزه، فإليك يا إلهي كانت تهيأتي وتعبأتي، وإعدادي واستعدادي، رجاء فوائدك ومعروفك، ونائلك وجوائزك، فلا تخيبني من ذلك، يا من لا تخيّب عليه مسألة السائل، ولا تنقصه عطيّة نائل، فإنّي لم آتك بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته. أتقرّب إليك بشفاعته إلّا شفاعة محمّد وأهل بيته صلواتك عليه وعليهم، أتيتك أرجو عظيم عفوك، الذي عدت به على الخاطئين عند عكوفهم على المحارم، فلم يمنعك طول عكوفهم على المحارم أن جدْت عليهم بالمغفرة، وأنت سيّدي العوّاد بالنعماء، وأنا العوّاد بالخطاء، أسألك بحقّ محمّد وآله الطاهرين أن تغفر لي ذنبي العظيم، فإنّه لا يغفر العظيم إلّا العظيم، يا عظيم يا عظيم، يا عظيم يا عظيم، يا عظيم يا عظيم[1].

٣٥ ـ دعاؤها عليها السلام إذا طلع هلال شهر رمضان:

عن الرضا عليه السلام في حديث: معاشر شيعتي إذا طلع هلال شهر رمضان فلا تشيروا إليه بالأصابع، ولكن استقبلوا القبلة وارفعوا أيديكم إلى السماء، وخاطبوا الهلال وقولوا: ربّنا وربّك الله ربّ العالمين، اللّهمّ اجعله علينا هلالاً مباركاً، ووفّقنا لصيام شهر رمضان وسلّمنا فيه، وتسلّمنا منه، في يسر وعافية، واستعملنا فيه بطاعتك، إنّك على كلّ شيء قدير.

ثمّ قال: ولقد كانت فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، تقول ذلك سنة، فإذا طلع

(١) جمال الأسبوع: ٩٣.

هلال شهر رمضان، فكان نورها يغلب الهلال ويخفى، فإذا غابت عنه ظهر[١].

٣٦ ـ دعاؤها عليها السلام إذا أخذت مضجعها:

الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبي الله وكفى، ما شاء الله قضى، سمع الله لمن دعا وليس من الله ملجأ، ولا وراء الله ملجأ، توكّلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إلّا هو آخذٌ بناصيتها، إنّ ربّي على صراط مستقيم. الحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذلّ، وكبّره تكبيراً[٢].

٣٧ ـ دعاؤها عليها السلام إذا نامت:

روي عنها عليها السلام أنّها قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة لا تنامي إلّا وقد عملت أربعة؛ ختمت القرآن وجعلت الأنبياء شفعاءك وأرضيت المؤمنين عن نفسك وحججت واعتمرت ـ إلى أن قالت: ـ قال: إذا قرأت «قل هو الله أحد» ثلاث مرّات فكأنّك ختمت القرآن، وإذا صلّيت عليَّ وعلى الأنبياء قبلي كنّا شفعاؤك يوم القيامة، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلّهم عنك، وإذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، فقد حججت واعتمرت[٣].

٣٨ ـ دعاؤها عليها السلام عند المنام:

الله أكبر ـ أربعاً وثلاثين. الحمد لله ـ ثلاثاً وثلاثين. سبحان الله ـ ثلاثاً وثلاثين.

٣٩ ـ دعاؤها عليها السلام لدفع الرؤيا المكروهة:

عن الصادق عليه السلام قال: شكت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما تلقاه في المنام، فقال لها: إذا رأيت شيئاً من ذلك فقولي:

---

(١) فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق: ٩٩/ ٨٤.
(٢) كنز العمال: ١٥/ ٥١٣ ح ٤٢٠٠٠.
(٣) صحيفة فاطمة: ١٦٤.

أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون، وأنبياء الله المرسلون، وعباد الله الصالحون، من شرّ رؤياي التي رأيت، أن تضرّني في ديني ودنياي. واتفلي على يسارك ثلاثاً[١].

٤٠ ـ دعاؤها عليها السلام لدفع الأرق:

عن عليّ عليه السلام: إنّ فاطمة عليها السلام شكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الأرق، فقال لها: قولي يا بنية: يا مشبع البطون الجائعة، ويا كاسي الجسوم العارية، ويا ساكن العروق الضاربة، ويا منوّم العيون الساهرة، سكّن عروقي الضاربة، وَأْذَن لعيني نوماً عاجلاً[٢].

٤١ ـ دعاؤها عليها السلام لبعلها عليه السلام:

قالت عليها السلام في وصيّتها إليه عليه السلام: إذا أنا متّ فغسّلني بيدك، وحنّطني وكفّني، وادفني ليلاً، ولا يشهدني فلان وفلان ولا زيادة عندك في وصيّتي إليك، وأستودعك الله تعالى حتّى ألقاك، جمع الله بيني وبينك في داره وقرب جواره[٣].

٤٢ ـ دعاؤها عليها السلام لأسماء بنت عميس:

روي أنّها عليها السلام قالت لأسماء: إنّي نحلت وذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني ـ إلى أن قالت: ـ فدعت بسرير فأكبّته لوجهه، ثمّ دعت بجرائد فشددته على قوائمه، ثمّ جلّلته ثوباً، فقالت عليها السلام: إصنعي لي مثله، أستريني، سترك الله من النار[٤].

٤٣ ـ دعاؤها عليها السلام على من ظلمها:

اللّهمّ إليك نشكوا فقد نبيّك ورسولك وصفيّك وارتداد أُمّته، ومنعهم إيّانا حقّنا

---

(١) كشف الغطاء: ١/٢١٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ٥/١٢٥.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٩٠ ح ٥٦.

(٤) الحدائق الناضرة: ٤/٨٩، وبحار الأنوار: ٤٣/٢١٣ ح ٤٣.

الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيّك بلسانه[١].

٤٤ ـ دعاؤها عليها على أبي بكر وعمر:

عن الصادق عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة عليها السلام فأخرجه من فدك إلى أن ذكر شهادة علي عليه السلام وأمّ أيمن فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا علي فيجرّ إلى نفسه، قال: فقامت مغضبة وقالت: اللّهمَّ إنّهما ظلما إبنة محمّد نبيّك حقّها، فاشدد وطأتك عليهما[٢].

٤٥ ـ دعاؤها عليها السلام عليهما أيضاً:

عن جابر: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله دخل إليها رجلان من الصحابة، فقالا لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟

قالت: أصدقاني، هل سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني؟ قالا: نعم، والله لقد سمعنا ذلك منه، فرفعت يديها إلى السماء وقالت: اللّهمَّ إنّي أُشهدك أنّهما قد آذياني وغصبا حقّي.

وفي رواية: اللّهمَّ إنّهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتّى ألقى أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما[٣].

٤٦ ـ دعاؤها عليها السلام عليهما أيضاً:

قالت عليها السلام لهما: أنشدكما بالله هل سمعتما النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعةٌ منّي وأنا منها، من آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قالا: اللّهمّ نعم.

فقالت: الحمد لله، اللّهمَّ إنّي أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنّهما قد آذياني

---

(١) صحيفة فاطمة: ١٧٤.

(٢) الإختصاص: ١٨٤، واللمعة البيضاء: ٣١١.

(٣) كفاية الأثر: ٦٥، وكتاب سليم٩٢.

في حياتي وعند موتي، والله لا أكلّمهما من رأسي كلمة حتّى ألقى ربّي، فأشكوكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما منّي[١].

٤٧ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم القيامة لدفع العذاب عن محبّيها:

روي عن محمّد بن مسلم الثقفي أنّه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينيّ كلّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة عليها السلام بين عينيه محبّاً، فتقول: إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة، وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدك الحقّ، وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عزّوجلّ: صدقت يا فاطمة، إنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحبّ ذرّيتك وتولّاهم من النار، ووعدي الحقّ، وأنا لا أخلف الميعاد ـ إلى أن قال: ـ فمن قرأت بين عينيه مؤمناً، فخذي بيده وأدخليه الجنّة[٢].

٤٨ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر لشفاعة محبّيها:

روي أنّه إذا كان يوم القيامة يبعث إليها ملك، لم يبعث إلى أحد قبلها ولا يبعث إلى أحد بعدها، فيقول: إنّ ربّك يقرؤك السلام يقول: سليني أعطك، فتقول: قد أتمّ نعمته وهنّأني كرامته وأباحني جنّته، أسأله ولدي وذرّيتي ومن ودّهم.

وفي رواية: قد أتمّ عليّ نعمته، وأباحني جنّته، وهنّأني كرامته، وفضّلني على نساء خلقه، أسأله أن يشفّعني في ولدي وذرّيتي ومن ودّهم بعدي وحفظهم بعدي. فيعطيها الله ذرّيتها وولدها ومن ودّهم لها وحفظهم فيها، فتقول: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن وأقرّ عيني[٣].

٤٩ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر لشفاعة محبّيها عليها السلام أيضاً:

عن عليّ عليه السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة،

---

(١) البحار: ٤٣/ ٢٠٤.

(٢) المحتضر: ١٣٢، والبحار: ٨/ ٥١.

(٣) تأويل الآيات: ٢/ ٤٨٥.

فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: يا أبت ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم القيامة، قال: يا بنية أنّه ليوم عظيم ـ إلى أن قال: ـ ثمّ يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتك؟ فتقولين: يارب أرني الحسن والحسين. فيأتيانك وأوداج الحسين عليه السلام تشخب دماً ـ إلى أن قال: ـ ثمّ يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقول: ياربّ شيعتي، فيقول الله عزّوجلّ: قد غفرت لهم، فتقولين: ياربّ شيعة ولدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: ياربّ شيعة شيعتي، فيقول الله: إنطلقي فمن اعتصم بك فهو معك في الجنّة[1].

٥٠ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر لغفران ذنوب شيعتها:

عن الإمام السجّاد عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ـ إلى أن قال ـ: ثمّ ينادى: هذه فاطمة عليها السلام بنت محمّد صلى الله عليه وآله تمرّ بكم هي ومن معها إلى الجنّة، ثمّ يرسل الله لها ملكاً فيقول: يا فاطمة سليني حاجتك، فتقول: ياربّ حاجتي أن تغفر لي ولمن نصر ولدي[2].

٥١ ـ دعاؤها عليها السلام في يوم القيامة على قَتَلة ولدها ولشفاعة محبّيها:

عن الباقر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنّة ـ إلى أن قال: ـ فتسير حتّى تحاذي عرش ربّها جلّ جلاله، فتنزخ بنفسها عن ناقتها، وتقول: إلهي وسيّدي أحكم بيني وبين من ظلمني، اللّهمّ احكم بيني وبين من قتل ولدي. فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي واشفعي تشفعي، فوعزّتي وجلالي لاجازنّي ظلم ظالم، فتقول: إلهي وسيّدي ذرّيتي وشيعتي، وشيعة ذرّيتي ومحبّي ومحبّي ذرّيتي. فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: أين ذرّية فاطمة وشيعتها ومحبّوها ومحبّوا ذرّيتها، فيقبلون وقد أحاط بهم

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٤٥.
(٢) صحيفة فاطمة: ١٨٨.

الرحمة، فتقدمهم فاطمة عليها السلام حتّى تدخلهم الجنّة[١].

٥٢ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر على قتلة الحسين عليه السلام:

عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل القيامة أغمضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله مع قميص مخضوب بدم الحسين عليه السلام، فتحتوي على ساق العرش فتقول: أنت الجبّار العدل، إقض بيني وبين من قتل ولدي. فيقضي الله لابنتي وربّ الكعبة، ثمّ تقول: اللّهمَّ شفّعني فيمن بكى على مصيبته. فيشفّعها الله فيهم[٢].

٥٣ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر على قتلة الحسين عليه السلام أيضاً:

عن الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ـ إلى أن قال: ـ فتأتي فاطمة عليها السلام فتأخذ قميص الحسين بن علي عليه السلام بيدها مضمّخاً بدمه وتقول: ياربّ هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به. فيأتيها النداء من قبل الله عزّوجلّ: يا فاطمة لك عندي الرضا، فتقول: ياربّ انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً من النار، فتخرج من جهنّم فتلتقط قتلة الحسين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحبّ، ثمّ يعود العنق بهم إلى النار، فيعذّبون فيها بأنواع العذاب[٣].

٥٤ ـ دعاؤها عليها السلام في المحشر على قتلة ولدها عليه السلام:

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلّق بقائمة من قوائم العرش، تقول: يا عدل، أحكم بيني وبين قاتل ولدي.

وفي رواية: ياعدل، يا جبّار، أحكم بيني وبين قاتل ولدي.

---

(١) روضة الواعظين: ١٤٩، وفضائل شاذان: ١٢.

(٢) صحيفة فاطمة: ١٩٢.

(٣) أمالي المفيد: ١٣٠.

وفي رواية: يا حكم، أحكم بيني وبين قاتل ولدي. فيحكم الله لابنتي وربّ الكعبة[١].

٥٥ ـ دعاؤها عليها السلام في القيامة لعرفان حقّها:

قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله، حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة، إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك ـ إلى أن قال عليه السلام: فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إنّي قد جعلت الكرم لمحمّد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنّة ـ إلى أن قال: فإذا صارت عند باب الجنّة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي، فتقول: ياربّ أحببت أن يعرف قدري في هذا اليوم. فيقول الله: يا بنت حبيبي، ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذرّيتك، خذي بيده فأدخليه الجنّة[٢].

٥٦ ـ دعاؤها عليها السلام في القيامة لشفاعة أمّة أبيها صلى الله عليه وآله:

روي أنّ في جملة ما أوصته الزهراء عليها السلام إلى عليّ عليه السلام: إذا دفنتني أدفن معي هذا الكاغذ الذي في الحقّة ـ إلى أن قالت عليها السلام: ـ فرجع جبرئيل، ثمّ جاء بهذا الكتاب مكتوب فيه: شفاعة أمّة محمّد صداق فاطمة عليها السلام، فإذا كان يوم القيامة أقول: إلهي هذه قبالة شفاعة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

٥٧ ـ دعاؤها عليها السلام عند دخولها إلى الجنّة:

روي أنّها عليها السلام لمّا دخلت الجنّة ونظرت إلى ما أعدّ الله لها من الكرامة، قرأت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور، الذي أحلّنا دار المقامة من فضله، لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب. فيوحي الله عزّوجلّ إليها: يا فاطمة سليني أعطكِ وتمنّي عليّ أرضك.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٢ ح ٢١.
(٢) تفسير فرات: ٢٩٨.
(٣) مجمع النورين: ٤٢.

فقالت: إلهي أنت المُنى وفوق المنى، أسألك أن لا تعذّب محبّي ومحبّ عترتي بالنار.

فيوحي الله عزّوجلّ إليها: يا فاطمة وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفيّ عام، أن لا أعذّب محبّيك ومحبّي عترتك[١].

٥٨ ـ دعاؤها عليها السلام لطلب نزول مائدة من السماء:

روي عن ابن عبّاس في حديث طويل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام فنظر إلى صفار وجهها وتغيّر حدقتيها، فقال لها: يا بنية، ما الذي أراه من صفار وجهك وتغيّر حدقتيك؟

فقالت: يا أبه إنّ لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً، إلى أن قال: ثمّ وثبت حتّى دخلت إلى مخدع لها فصفّت قدميها فصلّت ركعتين، ثمّ رفعت باطن كفّيها إلى السماء وقالت: إلهي وسيّدي هذا محمّد نبيّك، وهذا علي ابن عمّ نبيّك، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيّك، إلهي انزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها، اللّهمّ انزلها علينا فإنّا بها مؤمنون.

وفي رواية: اللّهمّ إنّ فاطمة بنت نبيّك قد أضرّ بها الجوع، وهذا علي بن أبي طالب إبن عمّ نبيّك قد أضرّ به الجوع، فأنزل اللّهمّ علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل فكفروا وإنّا مؤمنون. قال ابن عبّاس: والله ما استتمت الدعوة، فإذا هي بصحفة من ورائها ـ الخبر[٢].

٥٩ ـ دعاؤها عليها السلام في التعويذ من سخط الله ورسوله:

أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله[٣].

---

(١) البحار: ٢٧/ ١٤٠ ح ١٤٤.
(٢) مستدرك الوسائل: ٦/ ٣١١ ح ٦٨٨٦.
(٣) البحار: ٤٣/ ١٤٣ ح ٣٧.

٦٠ ـ دعاؤها عليها السلام في التعويذ:

أعوذ بك ياربّ من الحور بعد الكور[١].

٦١ ـ دعاؤها عليها السلام لغفران الذنوب:

روي عنها عليها السلام أنّها قالت: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة ليلة الأربعاء، فقال: من صلّى ستّ ركعات، يقرأ في كلّ ركعة الحمد و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ـ إلى قوله: ـ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] فإذا فرغ من صلاته قال: جزى الله محمّداً ما هو أهله. غفر الله له كلّ ذنب إلى سبعين سنة، وأعطاه من الثواب ما لا يحصى[٣].

٦٢ ـ دعاؤها عليها السلام في شكواها لطلب الرحمة من الله تعالى:

عن الباقر عليه السلام قال: إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مكثت بعد رسول الله ستين يوماً، ثمّ مرضت فاشتدّت عليها، فكان من دعائها في شكواها: يا حيّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث فأغثني، اللّهمّ زحزحني عن النار، وأدخلني الجنّة، والحقني بأبي محمّد صلّى الله عليه وآله[٤].

٦٣ ـ دعاؤها عليها السلام في ليلة وفاتها لطلب رحمة الله تعالى:

روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: فلمّا كانت الليلة التي أراد الله أن يكرمها ويقبضها إليه أقبلت تقول: وعليكم السلام، وهي تقول لي: يابن عمّ قد أتاني جبرئيل مسلّماً ـ إلى أن قال: ـ فسمعناها تقول: وعليك السلام يا قابض الأرواح، عجّل بي ولا تعذّبني، ثمّ سمعناها تقول: إليك ربّي، لا إلى النار. ثمّ غمضت عينيها ومدّت يديها ورجليها، كأنّها لم تكن حيّة قط[٥].

---

(١) صحيفة فاطمة: ٢٠٤.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ٦/ ٣٧١ ح ٧٠١٥.

(٤) البحار: ٤٣/ ٢١٧، واللمعة البيضاء: ٨٩٠.

(٥) دلائل الإمامة: ١٣٣.

٦٤ ـ دعاؤها عليها السلام في شكواها لغفران ذنوب شيعتهم:

عن أسماء بنت عميس قالت: رأيتها عليها السلام في مرضها جالسة إلى القبلة، رافعة يديها إلى السماء، قائلة:

إلهي وسيِّدي أسألك بالذين اصطفيتهم، وببكاء ولدي في مفارقتي، أن تغفر لعُصاة شيعتي وشيعة ذرّيتي[١].

٦٥ ـ دعاؤها عليها السلام لطلب الموت لما وقع عليها من الظلم:

ياربّ إنّي سئمت الحياة، وتبرّمت بأهل الدُّنيا، فألحقني بأبي[٢].

٦٦ ـ دعاؤها عليها السلام لتعجيل وفاتها:

يا إلهي عجِّل وفاتي سريعاً، فلقد تنغّصت الحياة[٣].

٦٧ ـ دعاؤها عليها السلام عند وفاتها:

اللّهمّ إنّي أسألك بمحمّد المصطفى وشوقه إليّ، وببعلي علي المرتضى وحزنه عليّ، وبالحسن المجتبى وبكائه عليّ، وبالحسين الشهيد وكآبته عليّ، وببناتي الفاطميات وتحسّرهن عليّ، إنّك ترحم وتغفر للعصاة من أُمّة محمّد وتدخلهم الجنّة، إنّك أكرم المسؤولين، وأرحم الراحمين[٤].

٦٨ ـ دعاؤها عليها السلام عند وفاتها لطلب رضوان الله تعالى:

روي عن عبدالله بن الحسن عن أبيه، عن جدّه عليه السلام أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا احتضرت نظرت نظراً حادّاً.

ثمّ قالت: السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللّهمَّ مع رسولك، اللّهمَّ في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام.

---

(١) صحيفة فاطمة: ٢١٠.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٦ ح ١٧٨.

(٣) اللمعة البيضاء: ٨٥٨.

(٤) صحيفة فاطمة: ٢١٢.

ثمّ قالت: أترون ما أرى؟

فقيل لها: ما تري؟

قالت: هذه مواكب أهل السماوات، وهذا جبرئيل وهذا رسول الله ﷺ يقول: يا بنية أقدمي فما أمامك خيرٌ لك[1].

■ ■ ■

(١) البحار: ٤٣/ ٢٠٠، وبيت الأحزان: ١٧٩.

حرز فاطمة عليها السلام للحمى

قالت فاطمة عليها السلام: ثم أخرجن لي رطباً أزرق كأمثال الخشكنانج[١] الكبار أبيض من الثلج وأزكى ريحاً من المسك الإذفر، فأحضرته فقالت لي: يا سلمان أفطر عليه عشيتك فإذا كان غداً فجئني بنواه أو قالت: عجمه.

قال سلمان: فأخذت الرطب فما مررت بجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قالوا: يا سلمان أمعك مسك؟

قلت: نعم، فلما كان وقت الإفطار أفطرت عليه فلم أجد له عجماً ولا نوى، فمضيت إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم الثاني فقلت لها: إني أفطرت على ما أتحفتيني به فما وجدت له عجماً ولا نوى.

قالت: يا سلمان ولن يكون له عجم ولا نوى وإنما هو نخل غرسه الله في دار السلام بكلام علمنيه أبي محمد صلى الله عليه وآله كنت أقوله غدوة وعشية.

قال سلمان: قلت: علميني الكلام يا سيدتي.

فقالت: إن سرك أن لا يمسك أذى الحمى ما عشت في دار الدنيا فواظب عليه.

ثم قال سلمان: علمتني هذا الحرز فقالت عليها السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النو ر، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق منشور، بقدر مقدور، على نبي محبور،

---

(١) خشكنانج معرب خشكناده وهو الخبز السكري الذي يخبز مع الفستق واللوز.

الحمد لله الذي هو بالعز مذكور وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قال سلمان: فتعلمتهن فوالله لقد علمتهن أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكة ممن بهم الحمى فكل برئ من مرضه بإذن الله تعالى[1].

■ ■ ■

(١) بحار الأنوار: ٤٣/٦٧ ـ ٦٨.

فهرس المحتويات

كلام ابن أبي الحديد في فدك ٥
ذكر ما ورد من السِّيَر والأخبار في أمر فَدك ٦
الفصل الأوّل: فيما ورد في الحديث والسّيَر من أمر فدك ٧
الفصل الثاني: في النظر في أنّ النبيّ هل يُورَث أم لا ٣٠
الفصل الثالث: في أنّ فَدَك هل صحّ كونها نِحْلةً رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام أم لا؟ ٥٦
احتجاج فاطمة ومطالبتها بفدك في خطبتها عليها السلام ٧٢
منع عمر أبا بكر من اعطاء فدك ٨٤
دعاء فاطمة على أبي بكر وعمر في أمر فدك ٨٨
دور فاطمة عليها السلام السياسي وشأنها الاجتماعي ٨٩
بكاء فاطمة عليها السلام ثورة ٩٠
دفاع فاطمة عن خلافة علي عليه السلام ٩٣
خطاب فاطمة الإجتماعي وأثره ٩٥
جهاد فاطمة عليها السلام ٩٨
فاطمة عليها السلام في مكّة ٩٩
فاطمة عليها السلام في الشعب ١٠٠
هجرة فاطمة عليها السلام ١٠١
فاطمة عليها السلام في أُحد ١٠٢

فاطمة عليها السلام في حرب الخندق ١٠٣
فاطمة عليها السلام في فتح مكّة ١٠٤
فاطمة عليها السلام الداعية إلى سبيل الله ١٠٥
فاطمة عليها السلام تحدّ جاريتها ١٠٦
فاطمة عليها السلام تعلّم النساء والرجال ١٠٧
فاطمة عليها السلام تقضي بين النساء ١٠٩
الجنّة حرام على مَنْ ظلم فاطمة عليها السلام ١١٢
فاطمة عليها السلام تقدّم الآخرة على الدُّنيا ١١٣
مشقة العيش على فاطمة عليها السلام ١١٤
زهد فاطمة عليها السلام ١٢٤
عبادة فاطمة عليها السلام ١٢٩
خشوع فاطمة عليها السلام ١٣٦
ورع فاطمة عليها السلام ١٣٩
شدة خشية فاطمة عليها السلام من الله ١٤٠
صلاة فاطمة عليها السلام من تعليم جبرائيل ١٤٢
تسبيح فاطمة عليها من الله السلام ١٤٣
دعاء فاطمة عليها السلام المستجاب ١٤٥
أدعية فاطمة عليها السلام الزهراء ١٤٧
حرز فاطمة للحمى ١٨٥
فهرس المحتويات ١٨٧